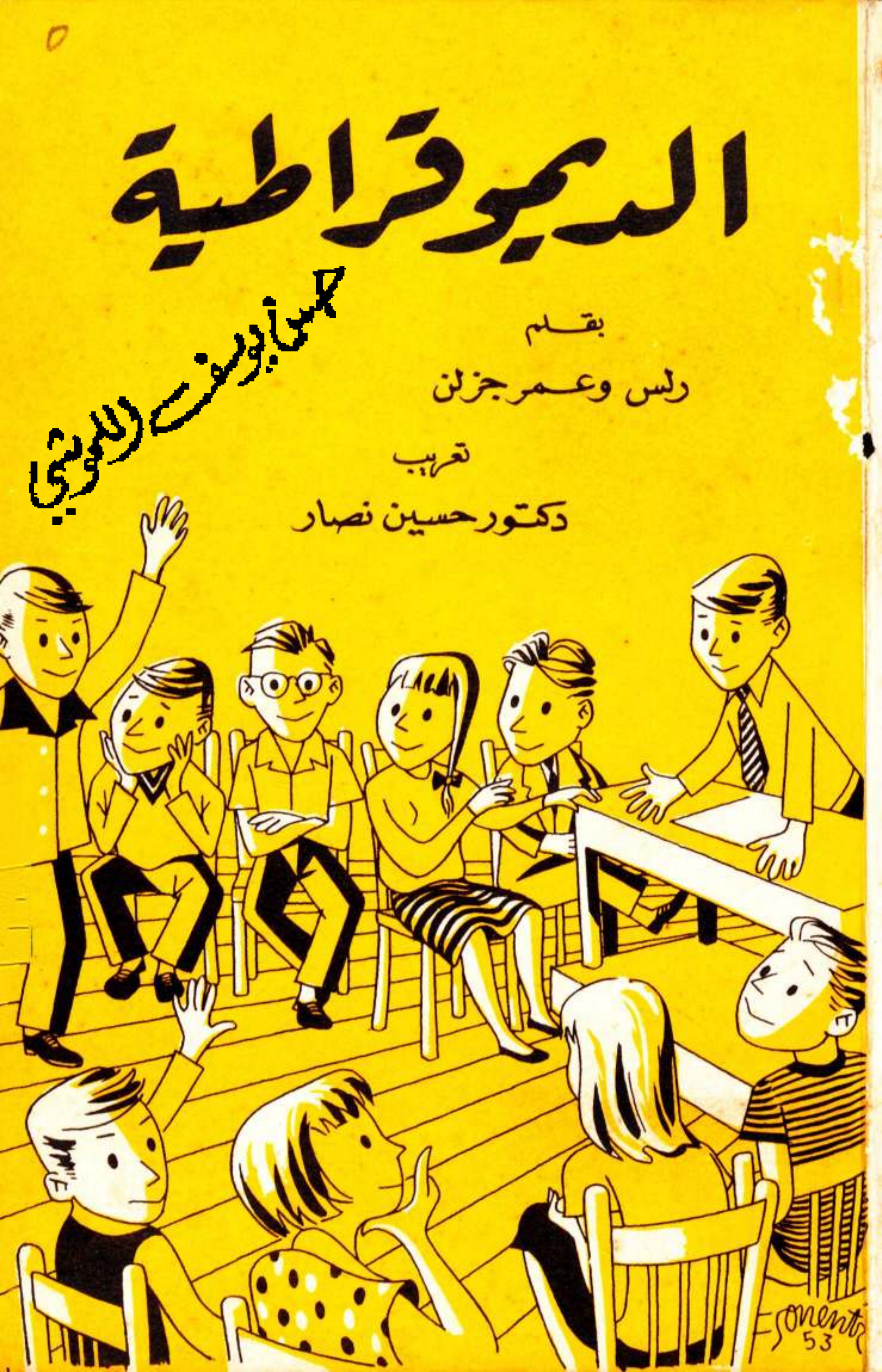
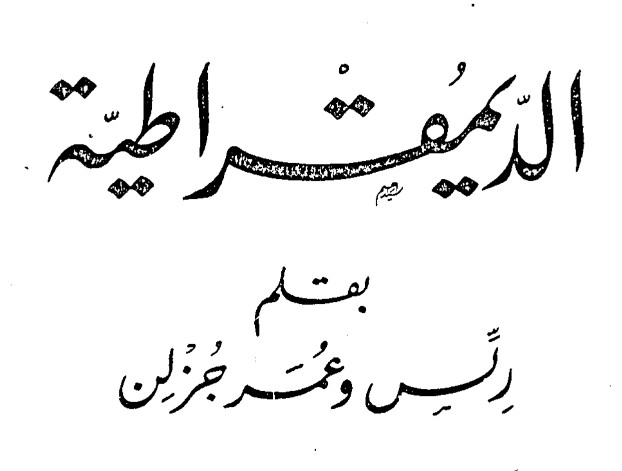
كتاب اجتماعى تربوى ، يربط بين الديمقراطية
والحياة ، يشرح مظاهر السلوك الديمقراطى بشكل
جديد .

الثمن $\frac{ص}{٤}$


الديموقراطية
بقلم
رلس وعـمر جزلن
تعريب
دكتور حسين نصار



تعريب

دكتور حسين نصّار

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ترجم ونشر بإذن خاص من المؤلفين والناشرين

DEMOCRACY

By Ryllis and Omar Goslin

Courtesy of Harcourt, Brace and company

New york

مقدمة المترجم

عظم فى الأيام الأخيرة الاهتمام بالمذاهب السياسية والاجتماعية المختلفة، وكثر المؤلفون الذين عالجوها بالتحليل والنقد. وبرغم ذلك يختلف هذا الكتاب الذى أخرجه اليوم إلى العالم العربى عن أمثاله من كتب المذاهب اختلافا كبيرا. حقا هو يصوّر الديمقراطية التى دوّن فيها أكثر من كتاب باللغة العربية. ولكنه ينهج فى تصويره نهجا جديدا، لايشاركه فيه أحد هذه الكتب. وقد دعا مؤلفَه إلى هذا النهج «الجماعة» الذين أراد أن يصوّر لهم الديمقراطية.

فكتابنا هذا، يرمى قبل كل شىء إلى تجلية صورة الديمقراطية للأحداث، أو إن شئت الدقة فى التعبير، يرمى إلى تربية الأحداث على هَدْى الديمقراطية، وتوجيه سلوكهم التوجيه اللائق بماتفرضه عليهم، وطَبْعهم على ذلك منذ حداثتهم، حتى يكونوا ديمقراطيين مطبوعين فى شبابهم ورجولتهم وما امتدّ بهم العمر.

فالكتاب إذن تربوى، قبل أن يكون سياسيا. لن تجد فيه تعريفات، ولا أوجه خلاف، ولا ألوانا من الديمقراطيات... ولا ما شابه ذلك مما ألفنا قراءته فى كتب المذاهب السياسية. وإنما تجد فيه أنواعا من السلوك الاجتماعى والأخلاقى تفرضها الديمقراطية

على معتنقيها ، وتحرم الخارج عليها شرف حمل هذا الاسم والاتصاف به . فالكتاب أخلاقى اجتماعى .

ولن تجد فى الكتاب سردا نظريا للآراء التى يريد المؤلف أن يعبر عنها ، ودفاعا عنها ، وحشدا للأدلة من هنا وهناك . وإنما ترى نهجا فريدا للإقناع ، يتفق كل الاتفاق مع الأحداث الذين يريد المؤلف منهم قراءة كتابه ، والاقتناع بما فيه من أفكار ، وممارستها فى حياتهم . ترى فيه تدرجا من الأعمال والألعاب التى يقوم بها الصبية فى قراهم ، ومدنهم ، ومدارسهم ، ونواديهم ، ومجتمعاتهم ، ومما يرونه حولهم فى حياتهم الخاصة . . . إلى مايقابله فى الحياة الديمقراطية العامة ، حياة المجتمع بأسره .

كل هذا جعل الكتاب فريدا فى لونه ، ممتازا بين نظرائه ، لافتا للأنظار ، جديرا بأن يطالعه الابن والأب ، قد وضعه بعض المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة الأمريكية بين برامجها الدراسية .

وإنى إذ أقدمه إلى القارئ العربى ، لأرجو أن يلقى ما هو أهل له من اطلاع ودراسة .

حسين نصار

القاهرة ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣

حسن أبو يوسف الدويهي

الديمقراطية

محمد عبد الرحمن الكويتي

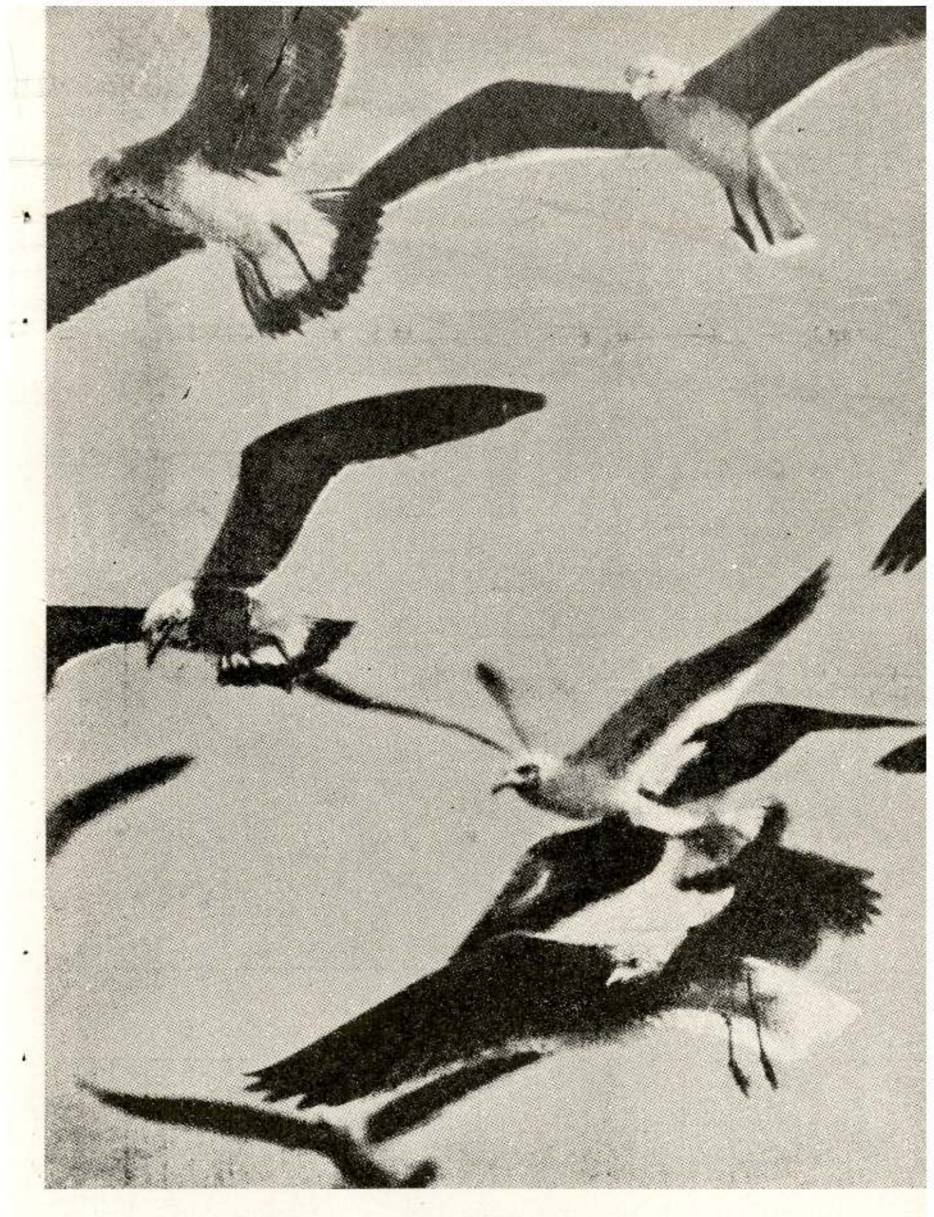
لاقيود

عند ما يصيد شِصّك « صنّارتك » سمكة ، وتأخذ فى انتشالها من الماء ، فإنك تعرف ما يحدث . . . سوف تتلوى السمكة وتقفز إلى أعلى وأسفل ، وإلى اليمين والشمال ، محاولة الخلاص منه .

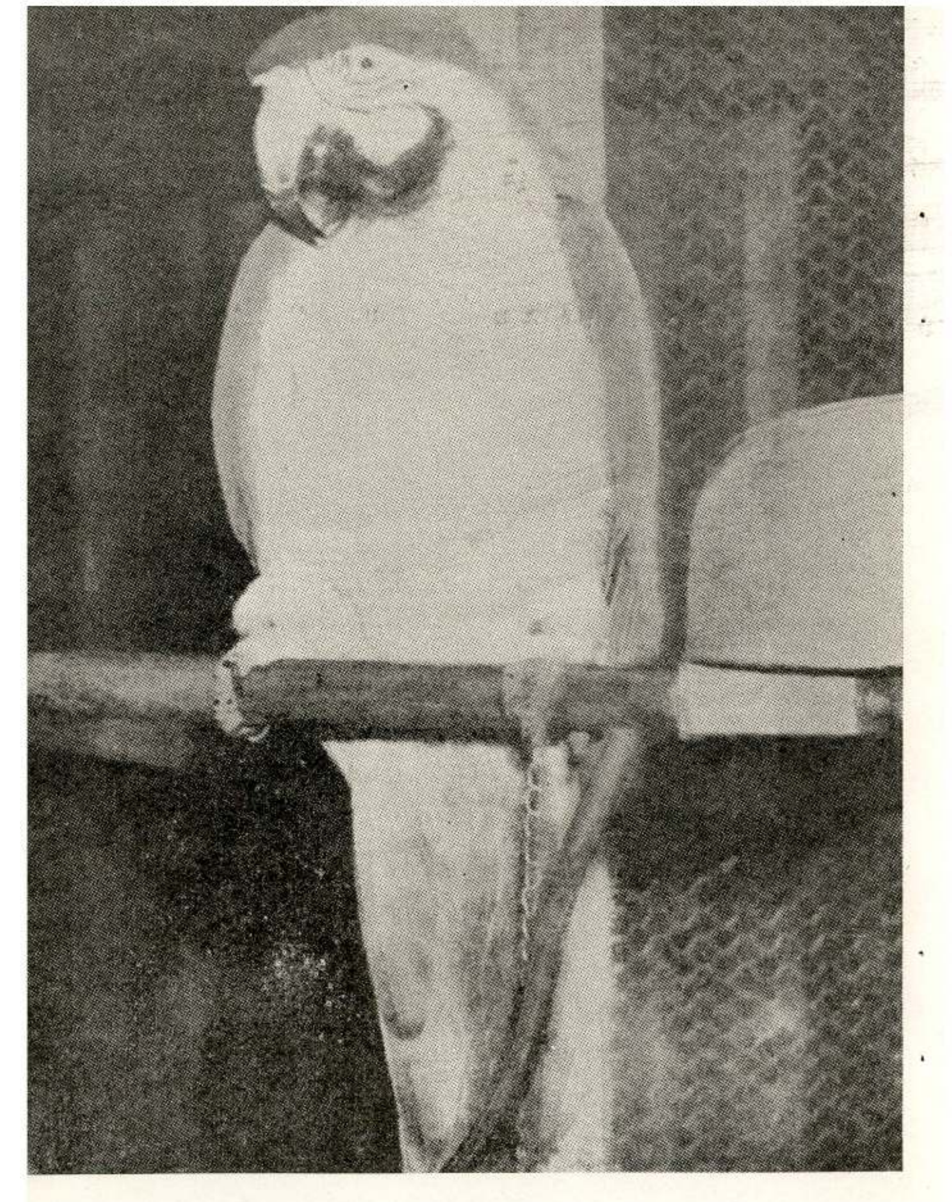
وحين تحبس الطيور فى قفص ، فإنها تكاد تحطم أجنحتها ضربا على قضبانه ، وحالما يفتح بابه تسرع بالفرار والطيران . فالطيور خُلقت لتكون طليقة كالهواء .

بل كلبك نفسه ، لايحبّ أن يقيد بسلسلة أو حبل ، ويحاول جاهدا أن يفلت منها ، ويتحين الفرص للهرب . فإذا ما قيدته فى ساحة البيت ، فإنه فى الغالب يأخذ فى النباح ، ويزعج الجيران .

كذلك يكره الناس أن يُحْجَر على حريتهم ، كراهية



ماذا تفضل أن تكون : طائرا طليقا في الهواء ؟



أو ببغاء حبيسا فى قفص ؟

السمك أن يخرجه أحد من البحر ، والطيور أن يضعها إنسان في قفص . فالرجال والنساء والأولاد والبنات ، كل منهم وُهِب له عقل خاص به . ومن الطبيعي أن يريدوا معرفة ما يدور حولهم ، وكيف يزيدون معرفتهم بالأمور التي تهمهم .

وطبيعي أيضا أن يودوا أن يكون لديهم ما يقولونه عن كيفية قضاء أوقاتهم ، وعما يدرسون ، وعن نوع العمل الذي يقومون به في سبيل معيشتهم . فليس من العجيب إذن أن يعترض الناس حين يتدخل أحد في خططهم ، ويرغمهم على الاضطلاع بأعمال أخرى غير التي يريدونها .

ومعظم الناس لهم استعدادات خاصة . فأحدهم ذو استعداد لأن يكون مهندسا ، وآخر لأن يكون موسيقيا ، وثالث لأن يكون نجارا ، ورابع لأن يكون جراحا . وطبيعي للفنان أن يرغب في الرسم والتصوير ، كرغبة السمك في العوم . ومن المؤسف لإنسان أن تتدخل في خططه ، وتحاول أن ترغمه على أن يكون محاميا أو تاجرا .

وقد كافح الرجال والنساء قرونا ليزدادوا تحرّرا — تحرّرا

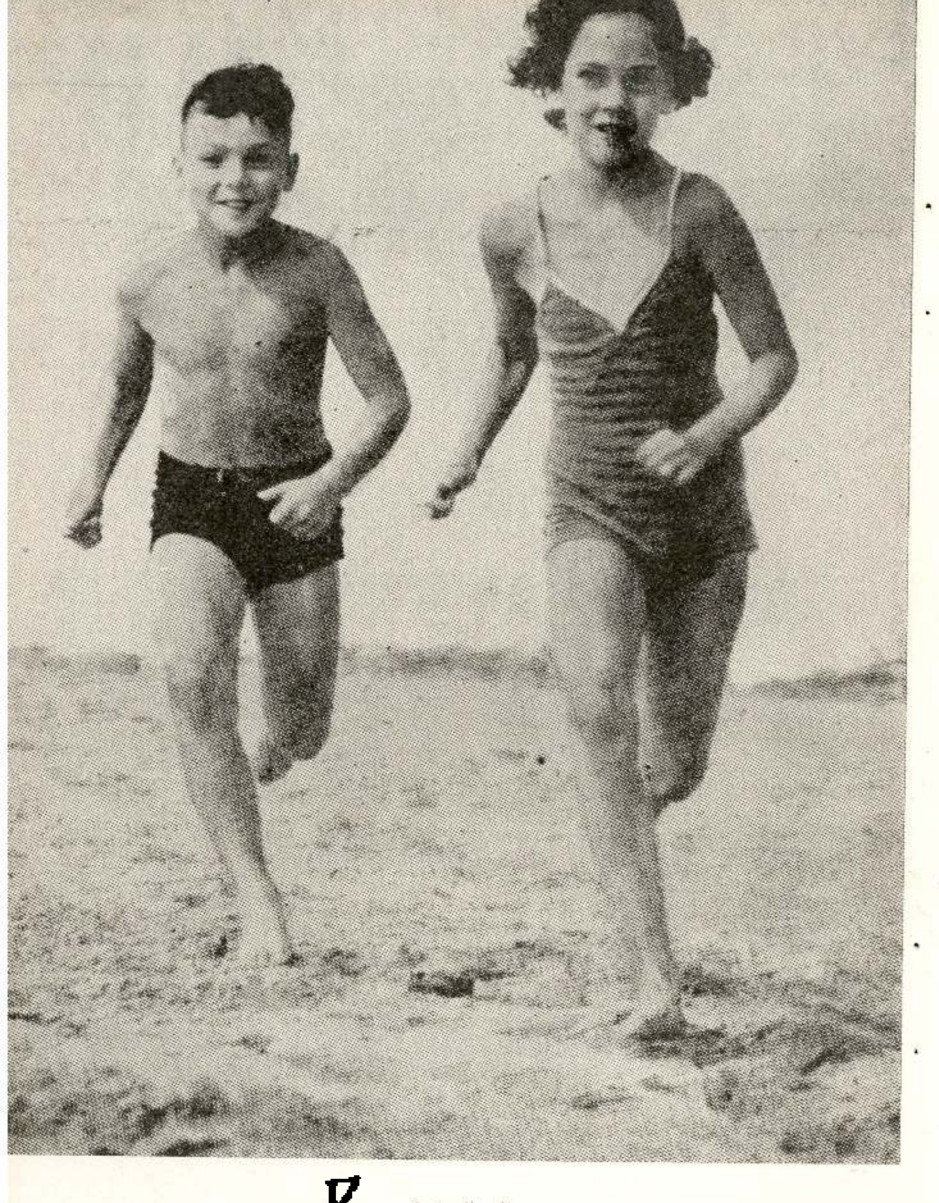
من الطغاة من جميع الأنواع ، أولئك الذين كانوا يُصْدرون إليهم الأوامر ، ويجبرونهم على ما يقولون أو يعملون أو يفكرون . ولقد وُجد طغاة جعلوا الرجال يقضون حياتهم يحاربون من أجلهم ، ليفوزوا بالأقاليم أو الثروات . وآخرون أرغموا عبيدهم على أن يشيدوا لهم العظيم من القصور أو الآثار . وغيرهم اضطروا رعاياهم إلى إطاعة قوانين معينة ، أو قبول دين خاص ، أو دفع ضرائب باهظة . ولكن أفراد شعوبهم ثاروا عليهم — سريعا كان ذلك أو بعد حين — وأصروا على أن يكونوا أحرارا فى اختيار زعمائهم ، ووضع قوانينهم ، والاضطلاع بأمورهم الخاصة .

ونحن جميعا نريد أن نشعر بحريتنا فى القيام بما يهمنا القيام به أكثر من غيره . وتعظم سعادتنا حين نحصل على المهارة فى العمل أو اللعب ، وننمى ما نتمتع به من مواهب ، مهما كان نوعها .

وأهم من ذلك كله ، أن الرجال والنساء أرادوا الحرية فى أن يفكروا بطريقتهم الخاصة . فهم يكرهون أن يُفْرَض عليهم اعتناق هذا المبدأ أو ذاك . وإنما يريدون أن يستمتعوا بالحق فى الموافقة



ليس من المسلى أن تجز الحشائش



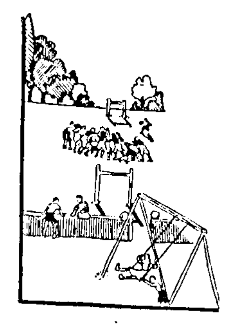
إلى السباحة

أو الرفض ، وفى تفضيل فكرة على غيرها وقبولها . فإذا لم يستحسنوا شخصا أوشيئا ، فإنهم يريدون أن يُمْنَحوا حق التعبير عن هذا الشعور .

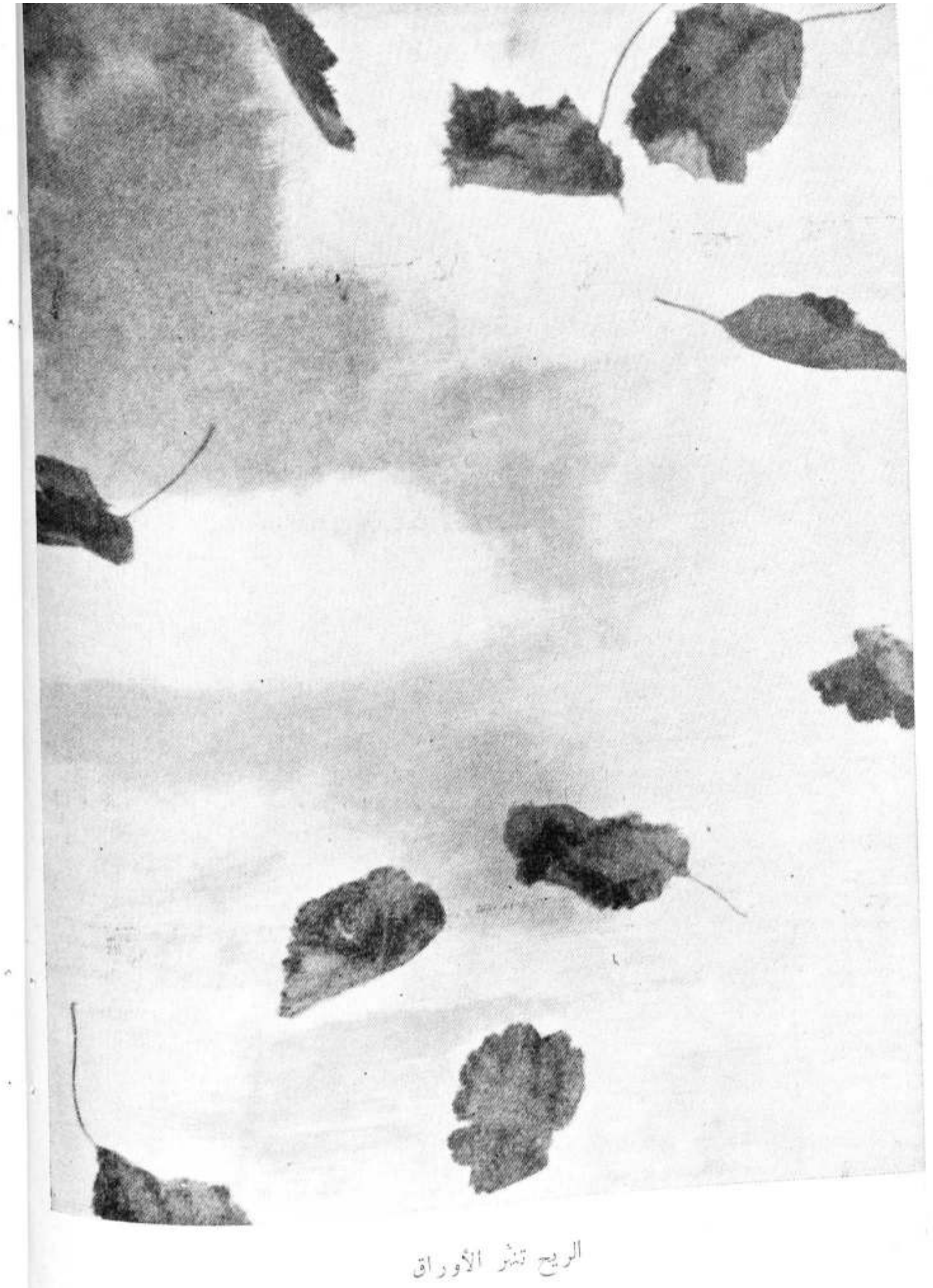
فالديمقراطية معناها الحرية . . . معناها أن الناس أحرار فى استخدام عقولهم استخداما كاملا ، وفى حفز مواهبهم وتنمية استعداداتهم جميعا بدون تدخل من أحد ، وفى تمتعهم بالحق فى أن يحيوا ما يحبون من حياة .

حان دورك

ليست الحرية بالأمر الهين كما يوحى به لفظها السهل حين ننطق بها . فلا يكفى أن تكون حرًّا كالهواء وحَسْب . فهذه الريح تستنفد قوّتها فى بعض الأحيان فى بعثرة أوراق الأشجار . فعلى الذين يتمتعون بالحرية فى الاضطلاع بما يسرّهم من أعمال ، أن يقرّروا ماذا يفعلون بحريتهم . فمتى وجد من يدلك على ماتعمل ، فإنه لايجب عليك التفكير كثيرا فيما سيحدث . ولكن حينما تتاح لك الحرية ، لترعى مصالحك الخاصّة بنفسك ، فإنه يتعين عليك حينئذ أن تشرع فى اختيار خطتك لما تنوى أن تفعل .



فالرجل الذى يريد أن يقود سيارة ، يجب عليه أن يعرف كيف يطاق لها قوتها ،



الريح تنثر الأوراق



أو تدير طاحونة الهواء

(٢

وكيف يغير سرعتها ، وكيف يكبح جماحها . ويجب أن يعرف إلى أين هو ذاهب ، وألا يَغْفُل عن عجلة القيادة .

وقد وجد الناس فى قُطْر بعد آخر أن مشاكلهم لاتحل بالتخلص من ملك أو إمبراطور . فإنهم إذا أرادوا ألا يحكمهم شخص آخر ، وجب عليهم أن يتعلموا كيف يحكمون أنفسهم بأنفسهم . وأن يواجهوا المشاكل ويدرسوها ، لكى يجدوا لها حلولا .

ولقد كشف عن ذلك جورج واشنجتن ، وتوماس جفرسن وغيرهما من أوائل الأمريكيين حين انتهت الثورة ، وأخذوا يعدّون دستورا لأمريكا ، ويقيمون ضربا جديدا من الحكومة فيها .

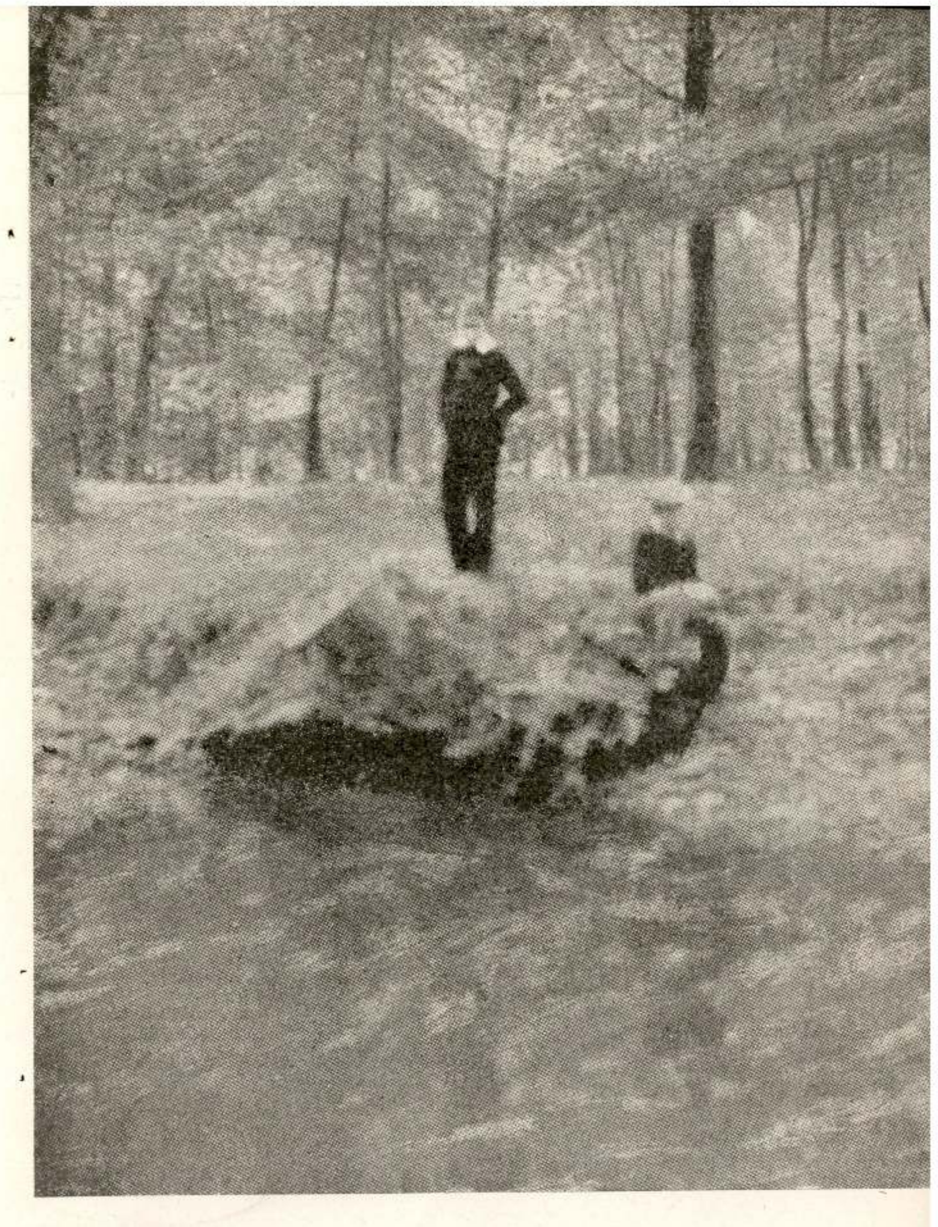
ألم تسأل قط : من الذى وضع نُظُم المرور فى بلدتك أو مدينتك ، وقد تملكك العجب من دقتها ؟ أو من الذى يعنى بالبلدة حتى يكثر بها الماء ، والطرق الممهّدة ، وفرق المطافئ ، والمدارس ، والمستشفيات ، ورجال الشرطه ، والساحات ، والقناطر « الكبارى » وغير ذلك من مئات المرافق التى تنتفع بها دون أن تفكر فيها ؟ ليس فى البلدة دكتاتور يأمر بعمل هذا أو

ذاك من الأمور . وإنما الناس الذين يعيشون في بلدتك هم المسئولون عما يحدث . فقد تعاونوا على وضع القواعد ، وانتخبوا بعض الرجال والنساء للقيام بالأعمال المختلفة .

فإذا لم ترُقْهم الطريقة التى يُعالج بها أمر من الأمور ، فإنهم لا يلجأون فى التفريج عن أنفسهم إلى إلقاء الأحجار على فاعليه . بل يجب على المواطنين فى تلك البلدة أو الأمة أن يبحثوا عن وجه الخطأ ، وأن يكشفوا طرقا أفضل لمعالجة أمورهم ، وأن يراقبوا الأمور حتى تنفذ الخطط الجديدة التى يضعونها .

ولكن الناس أحيانا يصيبهم التعب والملال ، من محاولة الإشراف على مايتصل بهم من أمور ، فيتمنون أن يقوم غيرهم بحل مشاكلهم وإبانة ما يجب عمله . وهم حين يتكلون أعمال الحكومة إلى غيرهم ، يتنازلون عن حرياتهم .

ولكى يتعلم الإنسان كيف يحكم نفسه ، عليه أن يسلك كما لو كان يتعلم كيف يقوم بدوره فى أحد الألعاب الرياضية . . . فالصبى الذى يريد أن يشترك فى كرة القدم أو « البيزبول » ، عليه أن يحتمل من التمرينات ماعنف ؛ إذ يجب أن يخرج إليها كل مساء .



قذف الأحجار



عزف الموسيقى

ويجب أن يحتفظ بصحة جيدة ، وأن يسيطر على بعض عضلات رجليه وذراعيه ويديه ، حتى يستطيع أن يجرى ويمسك الكرة . وكلما زادت سيطرته هذه ، عظمت قدرته على اللعب ، وكثرت متعته به .

وإذا أردت أن تتعلم السباحة والغوص ، وجب عليك أن تقضى الساعات الطوال فى التمرن والتدرب على ضبط نفسك فى الماء ، وكيف تستعمل ذراعيك ورجليك ، وكيف تتصرّف فى جسمك حين ترتفع عن الخشبة التى تقفز منها إلى الماء .

فالديمقراطية معناها سيطرة الإنسان على نفسه . فإذا أراد الصبية والبنات والرجال والنساء أن يتمتعوا بالحرية ، وجب عليهم أن يرضوا بتحمل المشاق فى سبيل السيطرة على نفوسهم .

الفرد للمجموع

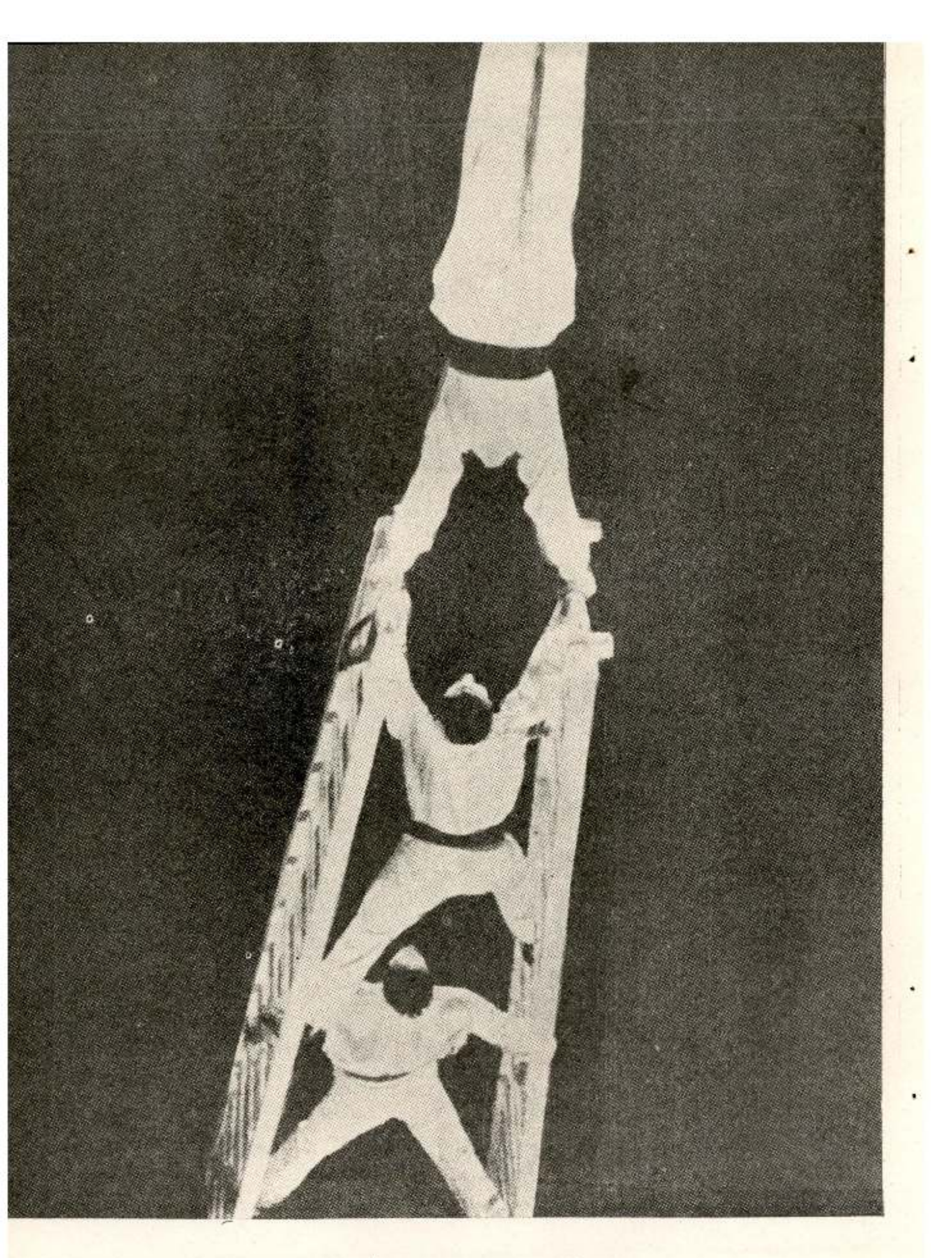


الفرقة الموسيقية تستعد ، وأمام كل واحـد منها المِثال « النـوتة » الذى سيحتذيه فى العزف ، وترى معهم جميع أصناف الآلات ، من قيثارات ونايات وطبول ومزامير وما إلى ذلك من الآلات .

وحينما يرفع رئيس الفرقة عصاه ، ويأخذ جميعهم فى العزف ، تمتزج الأصوات التى يحدثونها فى مَعْزوفة « سمفونية » جميلة . ولكن هَبْ أن عازف الناى الصغير قام فى نفسه هذا الخاطر : لايهم أن أعزف أو لاأعزف ، فالناى فى الحقيقة غير ضرورىّ



قراجوزات تعتمد على الخيوط



لاعبون يعتمد بعضهم على بعض

فى اللحن . وليس من أحد يستطيع أن يسمعنى حينما يعزف الباقون معا . فماذا عساه يحدث لو وقفت عن العزف ؟ » وربما يهجس نفس هذا الخاطر فى بال عازف الناى الكبير ، ثم عازف القيثار وبعض عازفى الآلات الأخرى . وحينئذ لا يصدر عن الفرقة إلا مجموعة من الأصوات الغريبة الناشزة ، نتيجة لتخلف واحد من العازفين فى إثر آخر .

فكل آلة ضرورة فى السمفونية ، بل إن أنغام الناى الخفيضة الناعمة لها فائدتها فى موازنة دوىّ القيثارة العميق . فإذا ماسكت أحد أفراد الفرقة تطرّق النقص إلى بعض نواحيها .

ويجب على كل زميل فى فريق كرة القدم أو « البيزبول » ، أن يؤدى دوره لينتصر الفريق ، إذ قد يستطيع الزميل الذى يملك الكرة أن يعدو فى سرعة بالغة ، ولكنه لن يستطيع أن يصل إلى هدفه إلا إذا أخلى غيره من أعضاء فريقه الطريق أمامه من خصومهم . والرامى المُجيد للرماية عظيم الأهمية فى « البيزبول » ، ولكن يجب أن يكون اللاعبون عند الهدف أو بعيدا عنه فى ميدان اللعب على استعداد للاحتفاظ بالكرة ، ومنع الفريق الآخر من الجرى بها .

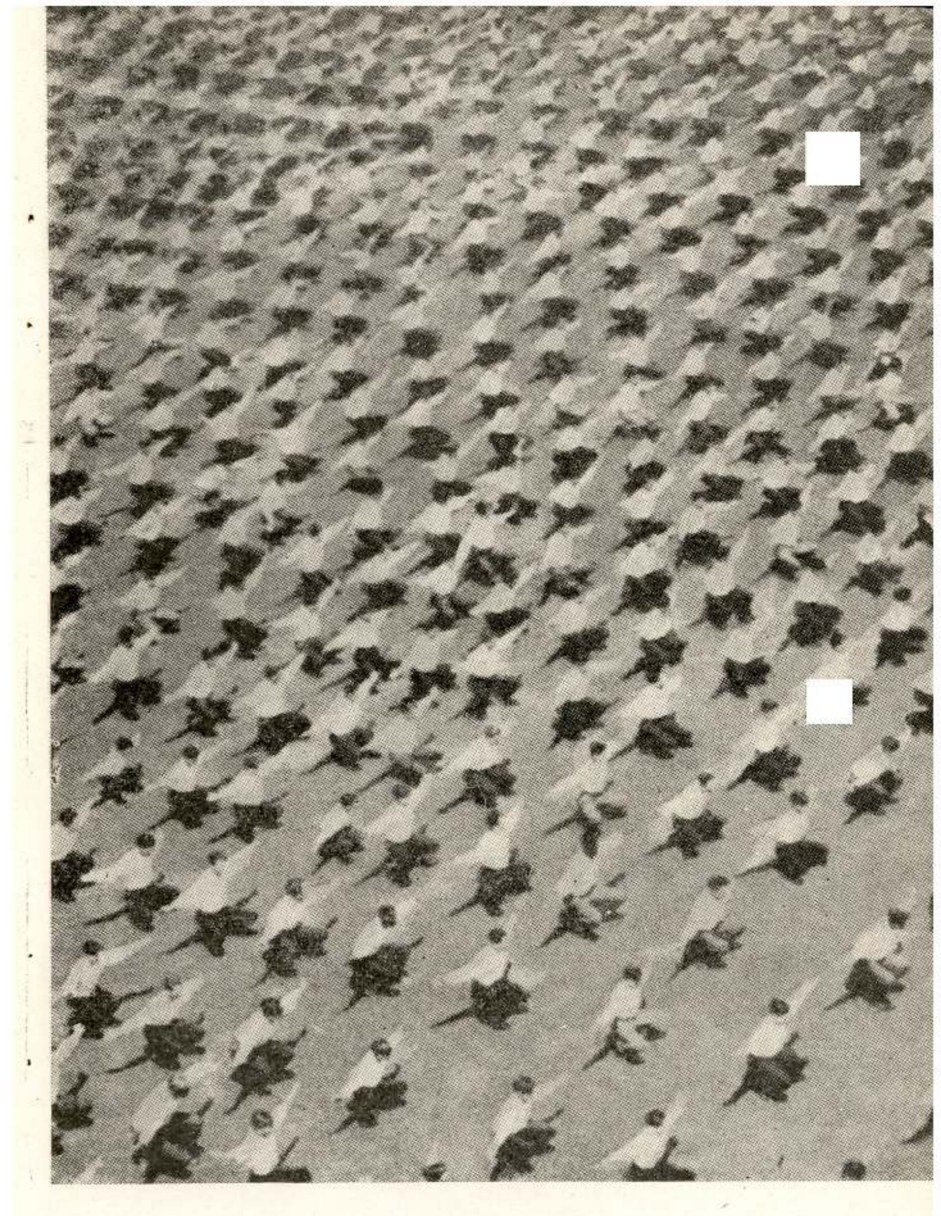
ويُنْتَظر من كل واحد منا أن يقوم بأعمال معينة ، كأعضاء

الفرقة الواحدة ، ونحن بدورنا ننتظر من بقية الفريق أن يقوموا بنصيبهم أيضا . والأمر نفسه فى المدرسة والبيت . فنحن نعتمد على غيرنا ، وهم يعتمدون علينا . وتجرى الأمور على مايرام إذا اضطلعنا بنصيبنا ، وقام الآخرون بأداء مايطلب منهم .

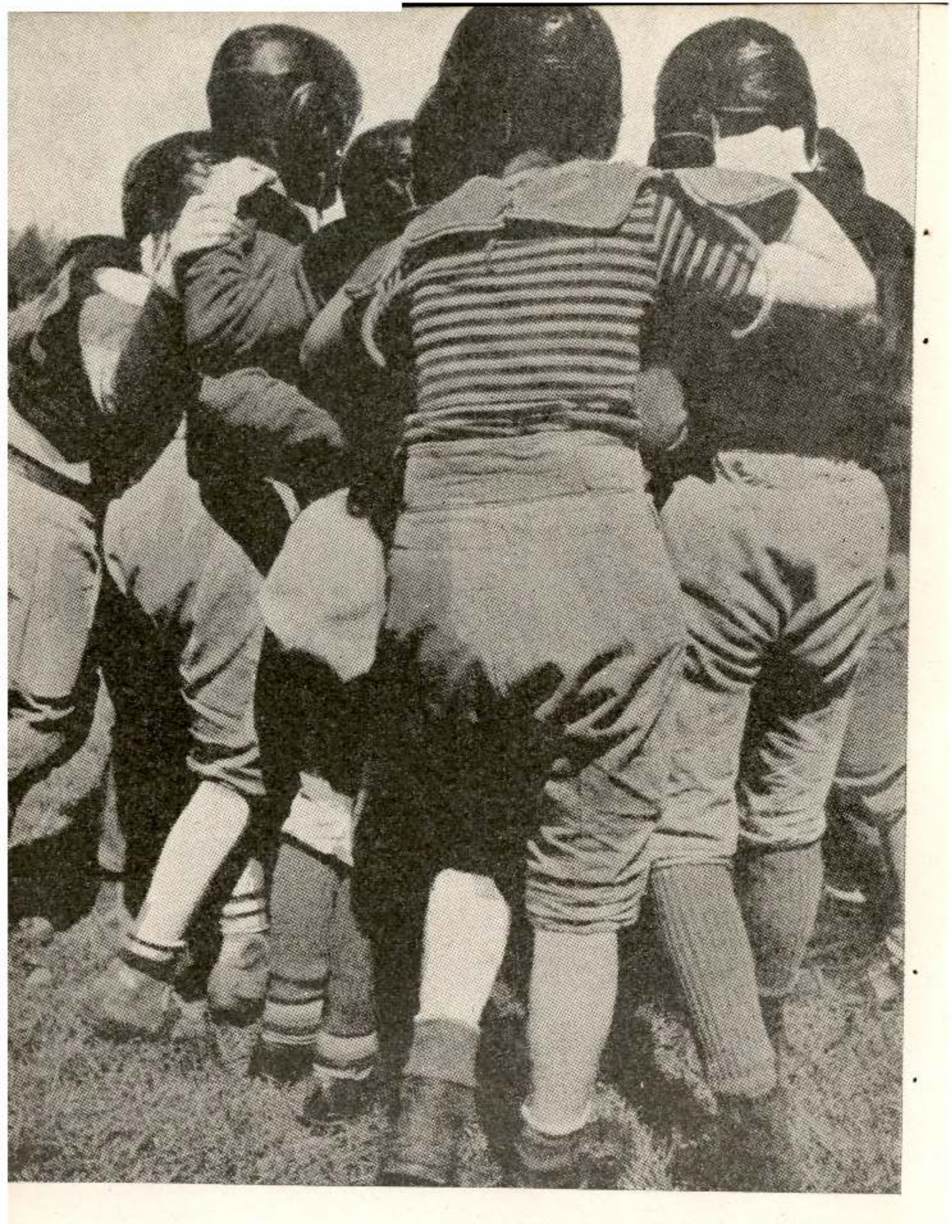
أما إذا كنا مجرّد « « قراجوزات » لاحسّ بها ولاإدراك ، فلن نفكر فى أمر من أمور المجموع أو فيما علينا من مسئولية ، فإن أحد الناس يمسك بالطرف الآخر من الخيط ليحركنا كما يجب ، ويقوم بالتفكير بدلاً منا . ولا تُسأل « القراجوزات » إذا وطئ أحدهم إصبع الآخر ، أو صدم بعضها بعضا ، أو أساء القيام بعمله .

ولكن أحدا منا لاينبغى أن يكون قراجوزا ، حتى يحركه شخص آخر . فليس للقراجوزات لذّة فى تحريك أذرعها وأرجلها والسير فى أىّ طريق أو فى أىّ وقت يحلو لها . ولا لذة لها فى اللعب بكرة القدم ، ولا فى الاجتماع لرسم الخطوة التالية من اللعب .

وإنه لأمر طبيعى أن ننتخب فى بعض الأحيان من يضع القرارات بدلاً منا . وقد يتوقف كسب اللعب على مايرسمه رئيس اللاعبين . . . وكذلك يختار الناس فى كل مدينة عمدة ، وينتخب



حركة واحدة متناسقة



رسم خطة اللعب

الأهالى جميعا لهم رئيسا للجمهورية . ولكن أعمالنا الفردية لا تنتهى حين يتمّ الانتخاب .

ويجب أن نقبل جميع قراراتهم راضين ، وأن نطيع الأحكام ، سواء اتفقنا معهم أم لم نتفق ، حتى يحين الوقت لانتخاب آخر وتغيير الأحكام .

وهناك كثيرون مثل عازف الناى الصغير الذى زعم لنفسه أن لا حاجة بالسامعين إلى عمله .

فحينما يأتى وقت الانتخاب ، يهمس بعضهم فى نفسه أن لا أهمية للأمر : صوّتوا أو لم يصوّتوا ، وأن أحدا لن يفتقد أصواتهم بين هذه الآلاف الكثيرة من الأصوات ، وأنهم لن يغيروا فى مجرى الأمور شيئا .

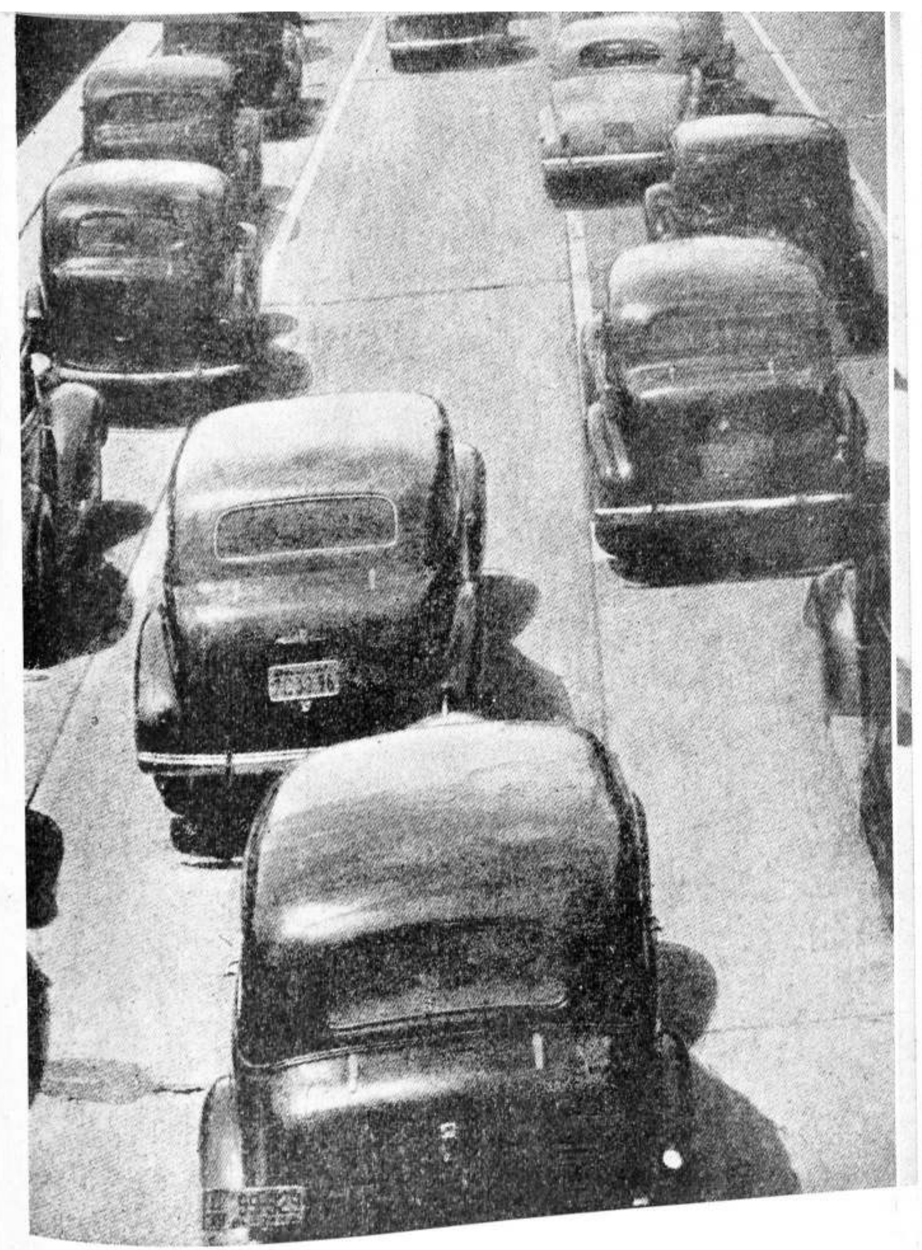
ولكن هذا المتخلِّف الذى يزعم لنفسه هذا الزعم ، يضيع الفرصة المتاحة له لتقرير ما يحدث بعدُ فى المدينة أو القطر الذى يعيش فيه ، أو يسمح لشخص آخر أن يختار له نوع الحكومة التى سيخضع لها .

فالديمقراطية معناها قبول المسئولية واحتمالها . والمواطنون فى النظام الديمقراطى يعتمد بعضهم على بعض فى الفوز بحكومة صالحة ، مثلهم فى ذلك مثل اللاعبين فى أية لعبة رياضية .

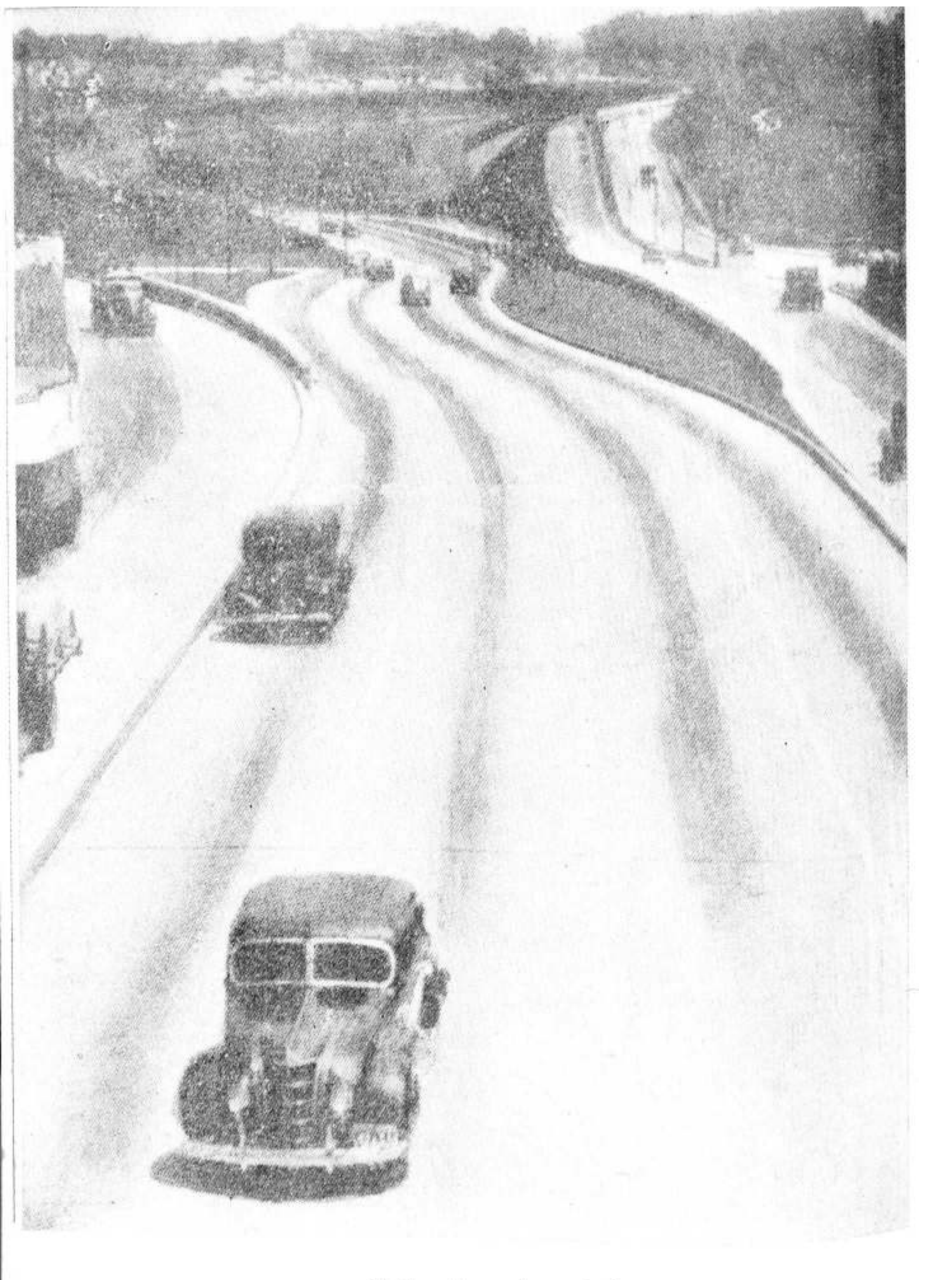
أى جانب تختار

أخذ آل جونز يرسمون
الخطط لقضاء عطلة الصيف ،

ولكنهم لم يستقرّوا بعد إلى أين
يدهبون . فحاول جيمى ، وهو
فى الثانية عشرة ، أن يغرى الأسرة بتأجير « كوخ » على بحيرة
ڤرمُنْت ، حيث قصد مع الكشافة فى العام السابق . وأرادت
مارى ، التى بلغت السادسة عشرة أن تذهب إلى شاطئ البحر ،
حيث تستطيع أن تتمدد على الرمال ، وتعرض ملابس استحمامها
الجديدة ، وتستفيد من حمام شمسى طيب . وأراد الأب أن ينتهز
الفرصة للخروج للصيد ولعب الجولف ؛ ولذلك استحسن رأى
جيمى . ولكن ديك ، الذى عاد إلى البيت من الكلية ، ألحّ على
أن رحلة بالسيارة إلى كاليفورنيا أكثر لذّة ومتعة .



شارع ذو اتجاه واحد



أكثر من طريق واحد لتسلكه

أما الأم فلم يقر لها قرار بعد . فهى تريد الراحة من التفكير في الطعام وإعداد الأسِرّة وغسل الأطباق والصحاف . فكانت أميل إلى النزول فى فندق على ساحل البحر ، منها إلى استئجار كوخ على البحيرة .

ومرّت الأيام ولم تستطع الأسرة أن تصل إلى اتفاق . فماذا يفعلون ؟ من الطبيعىّ أن الأب كان يستطيع أن يَبُدُرهم فيؤجر الكوخ ، ويعلن أن الأسرة ذاهبة إلى ڤرمنت . وحينئذ تضطرّ الأم ومارى وديك إلى الذهاب معه أرادوا أو لم يريدوا . ولكنه لم يفعل ذلك . وإنما عقد جلسة عائلية لمناقشة المسألة وإصدار قرار فيها .

وحاولت مارى أن تغرى أباها بأنه يستطيع أن يلعب الجولف ويخرج للصيد على ساحل البحر استطاعته ذلك فى ڤرمنت ، ولكن جيمى مازال ميالا للبحيرة ، وديك للرحلة الطويلة بالسيارة . وأخيرا ، أُخِذ الرأى ، وفازت رحلة شاطئ البحر بثلاثة أصوات فى مقابل صوتين . واستسلم جيمى وديك ، ولكن أمهم ومارى وأباهم وعدوا بأن توضع رغباتهما موضع الاعتبار فى السنة المقبلة .

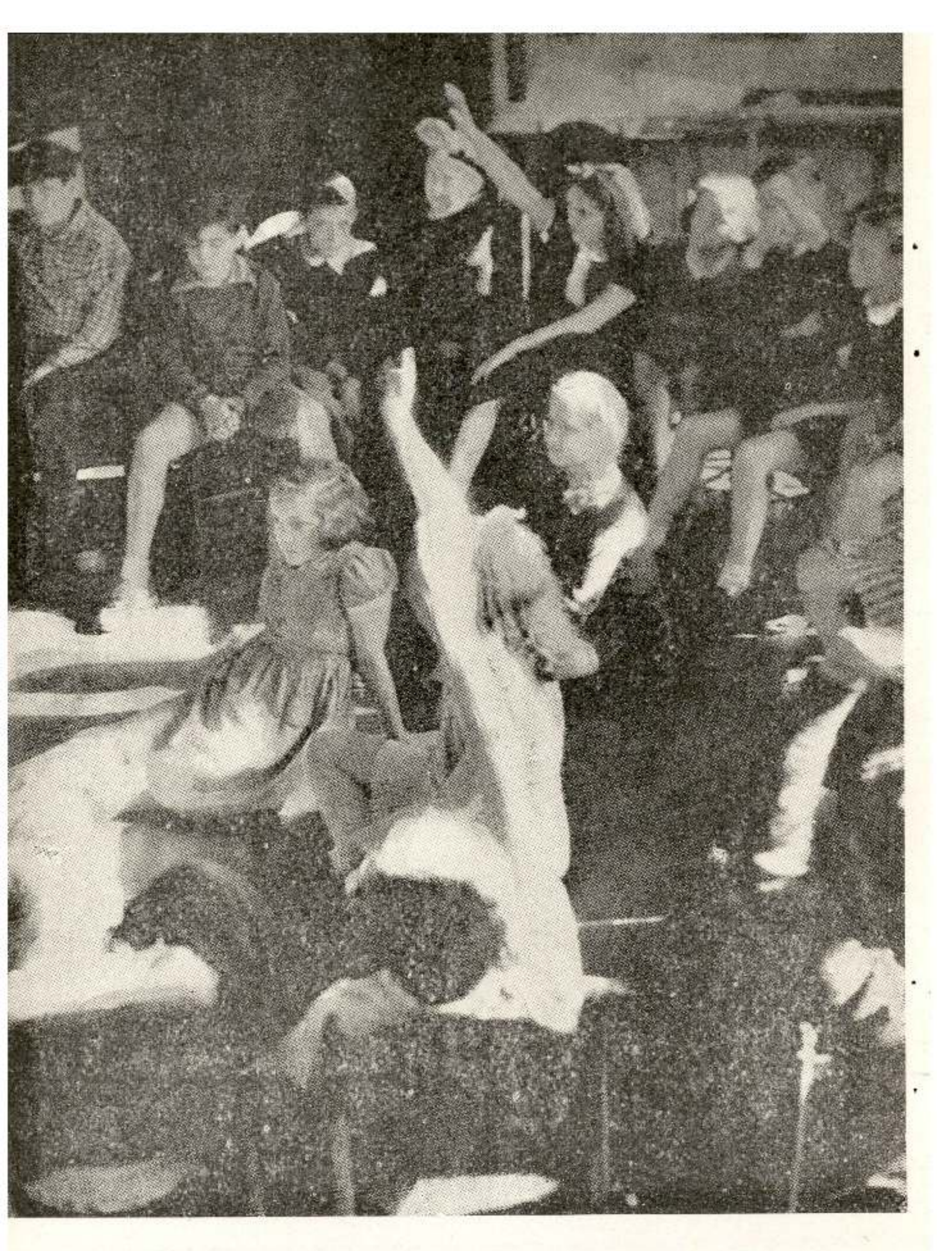
ويختلف الناس فى جميع الأشياء اختلافهم فى العطلات . فهم يتناقشون فى الجوّ ، فيريده بعضهم حارّا ، ويحبه غيرهم باردا . ويقول أحدهم إن الشمس ستشرق غدا ، ويوقن غيره بأن السماء ممطرة . أو قد يعجب أصدقاؤك بإحدى نجوم السينما على حين لاتميل إليها أنت أبدا . وحين يستعد فريقك لانتخاب الرئيس ، يميل بعض الأعضاء إلى ترشيح أحد اللاعبين ، ويجمع الباقون على اختيار غيره !

وكلما عظمت أهمية المشكلة ، اشتدّ اهتمام الناس بها . فعند ما يحين الوقت لاختيار رئيس الجمهورية ، تكثر الأعلام والفرق الموسيقية والخطب ، ويصرّ الجمهوريون على أنهم يعرفون كيف يتغلبون على جميع مشاكل البلاد ، وعلى وجوب انتخاب مندوبيهم . ويعلن الديمقراطيون يقينهم بأنهم يعرفون ما ينبغى أن يُفْعَل ، ويحثون كل إنسان على اختيار مندوبيهم . وهناك أحزاب أخرى كثيرة لها مندوبوها ، تعلن أن باستطاعتها إدارة أمور البلاد خيرا من الجمهوريين والديمقراطيين .

وقبل يوم الانتخاب ، تتاح الفرصة للشعب للاستماع إلى جميع



إصغاء



موافقون ومعارضون

المناقشات ، واختيار المندوبين الذين يريدون أن يصوّتوا لصالحهم . ويُنْتَخب الرجل الذى ينال أكبر عدد من الأصوات .

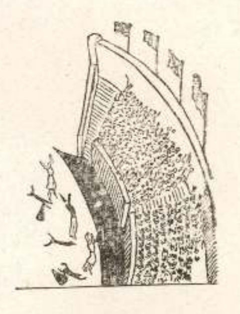
أما إذا لم تتح للرجال والنساء فرصة للاختيار ، أو استأثر بحكم البلاد دواما حزب سياسىّ واحد . . . أو إذا لم يكن هناك سوى مندوب واحد يضطرّ الناس إلى انتخابه ، أحبوا أو لم يحبوا .

إن حدث ذلك ، فسرعان ما يشعر الناس بأنهم مجرّدون من الحرية والحق فى حكم أنفسهم .

فالديمقراطية معناها اختلاف الآراء ، وحق الاختيار ، ومحاولة الفوز ، بدلا من مجرد اتباع القائد . وتعنى المناقشة والجدل بدلا من الاكتفاء بقبول ما يقوله شخص آخر . وتعنى أن الصبية والبنات والرجال والنساء يستطيعون أن يختاروا اللعبة التى يريدون ، والطريق الذى يشاءون ، أو الرئيس التالى للولايات المتحدة ، بدلا من أن يفرض عليهم أمر معين بالذات ليفعلوه ، أو طريق واحد ليسلكوه .

حسن يوسف اللويثي

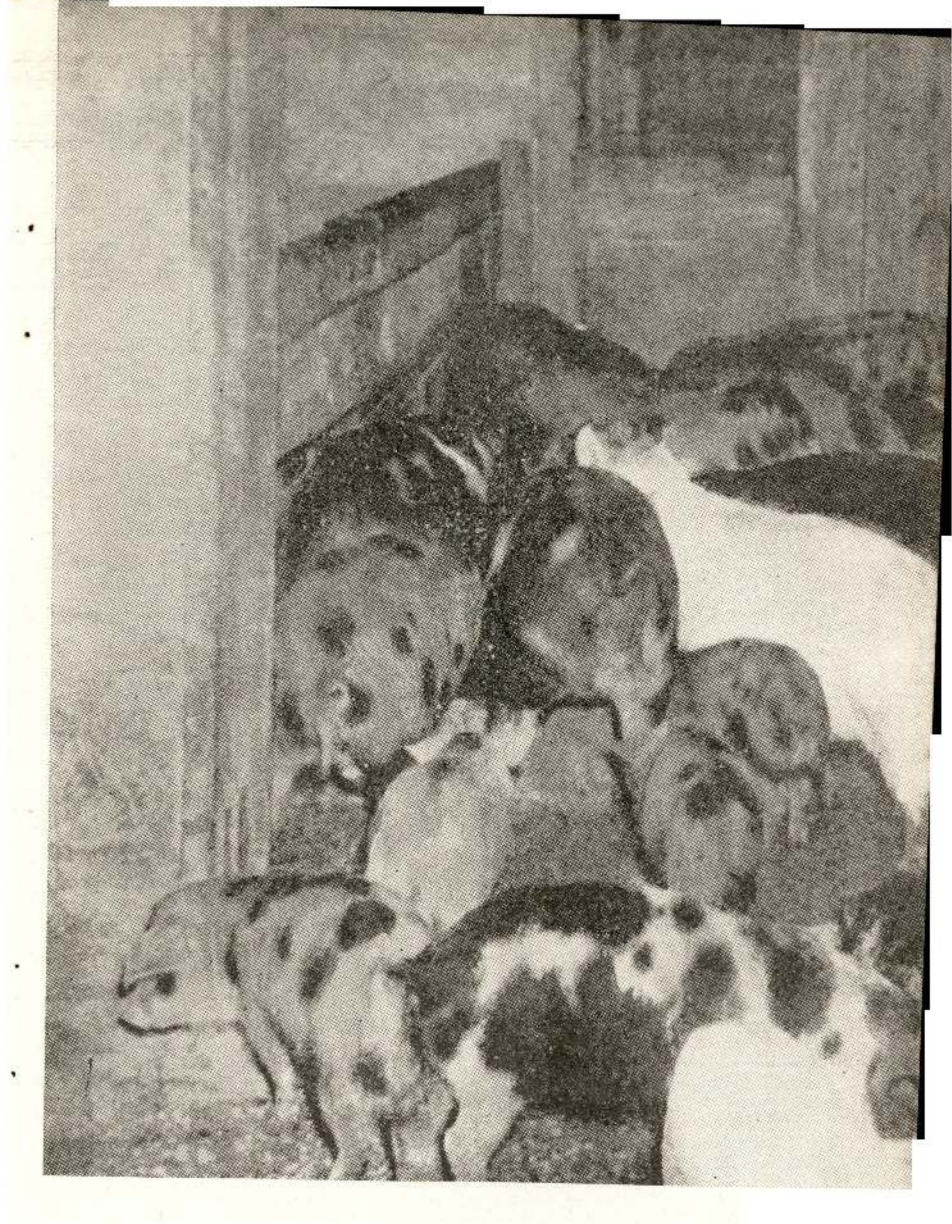
الروح الرياضى



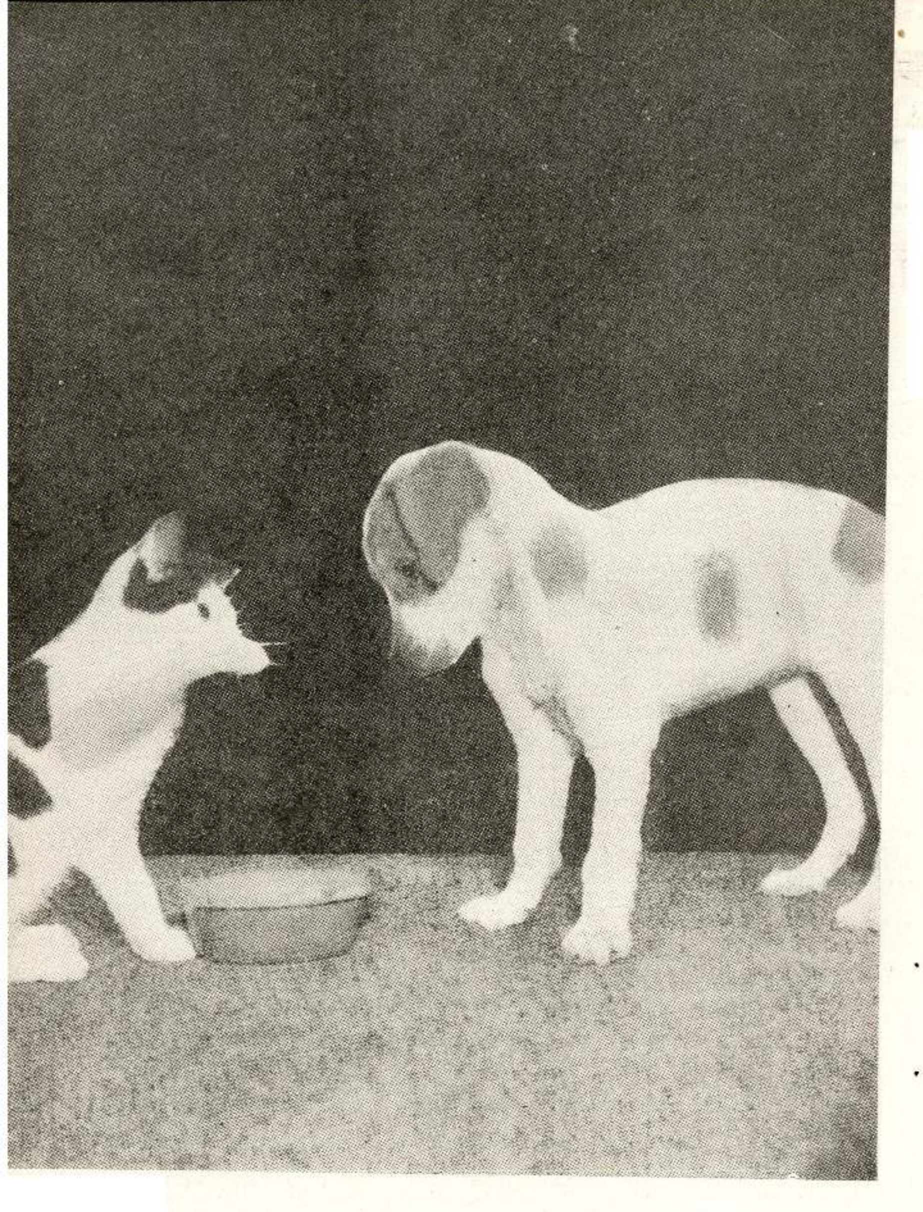
ألم تر قط جماعة من الخنازير الجائعة تتدافع فى طريقها إلى مأكلها ؟ إنه تدافع من لا يفكر ولا يعيش إلا لنفسه . فالخنازير الكبيرة تسبق ، ولا تجد من الوقت ما تهتمّ فيه بالخنازير الصغيرة التى لاتستطيع أن تقترب القرب الكافى من الطعام . وذلك ما يجعلنا على الدوام نصف الخنازير بفقدان الروح الرياضى .

فأولئك الذين لايتحلون بالروح الرياضى لايحفلون بأن يتيحوا لكل شخص فرصته للعب . ولا يعنيهم أن يهزم بعض الناس فى المباراة . . . بل إنهم يظنون أنه يجب ألا يباح لبعض الفرق الاشتراك فى المباراة لأنها لاتحسن اللعب كثيرا ، أو لأنها ليست لديها الملابس ، أو لأنها تعيش فى حىّ آخر من المدينة .

وحين ينهزم لاعب مسكين ، يحاول أن يجادل الحَكَم ، أو يختلق الأعذار ويدعى أن الحظّ خانه . وحين ينتصر لايمدح ،



لا يهتمون بغيرهم



خصمان متصادقان

الفريق الآخر بالمشاركة فى مباراة طيبة ، ولا يقترح أبدا اللعب مرة أخرى معه . فلا وقت عنده يقضيه فى شغل نفسه بإنسان يرى أنه ليس فى مكانته أو مهارته .

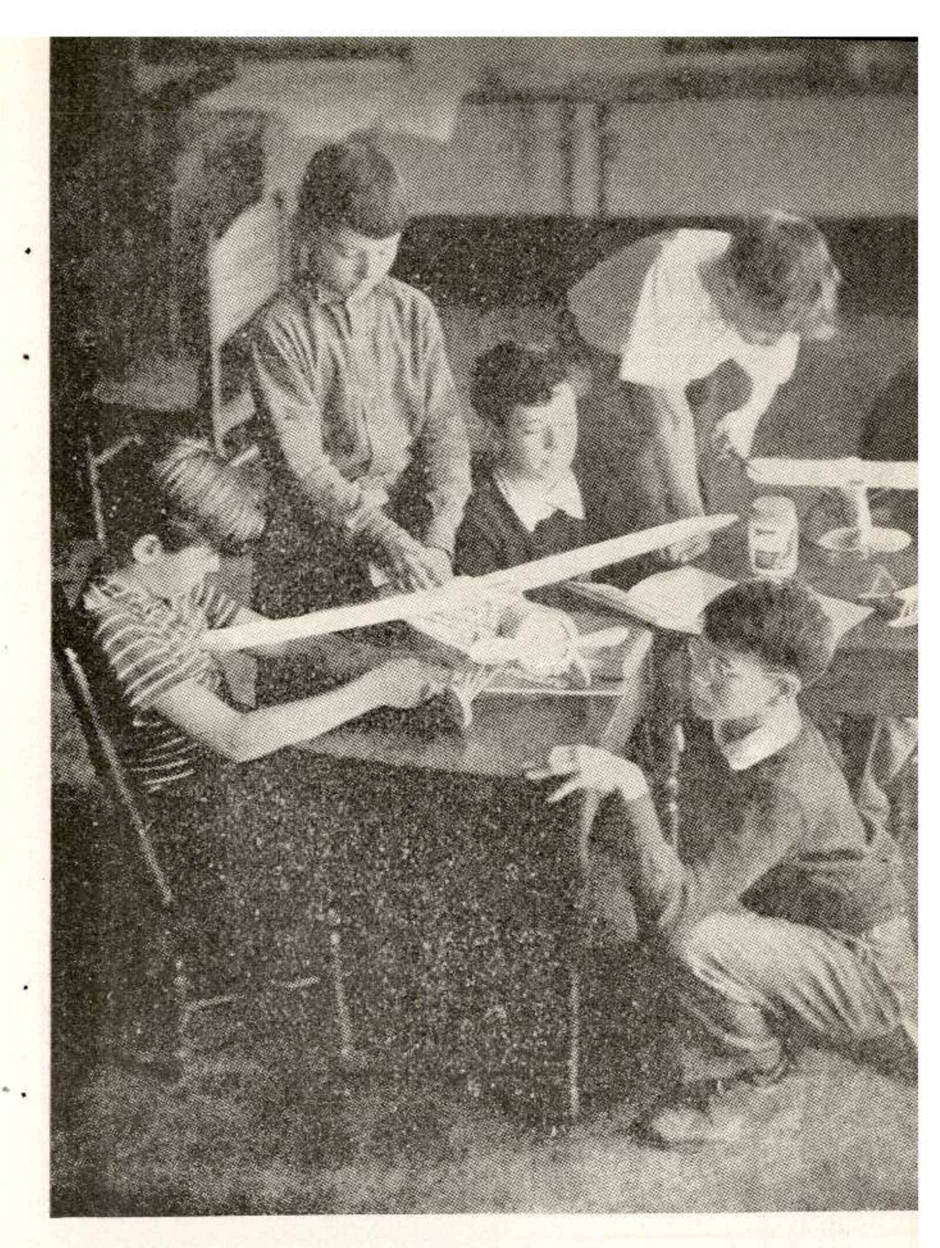
وكلنا يحبّ أن ينتصر ؛ فذلك مما يبعث فينا بعض المتعة من اللعب . فنحن نفرح بإحراز أهدف أكثر مما يحرزه غيرنا فى أية لعبة : بيزبول كانت أو كرة السلة ، أو التنس أو البنج بونج ، أو النرد . ولكننا لا نستطيع أن ننتصر جميعا فى جميع الأوقات . فمهما كان إتقاننا اللعب أو حسن حظنا ، فلا بد أن تأتى أوقات يحرز فيها غيرنا أهدافا أكثر مما نحرز . ومن هنا وجب علينا جميعا أن نتحلى بالروح الرياضى ، سواء انتصرنا أو انهزمنا .

وأيسر عليك أن تتحلى بالروح الرياضى فى مباراة ، من أن تتحلى به فى مجادلة ، فى غالب الأحيان . فهل تُجَنّ إذا خالفتك أسرتك أو صديقك فى شىء ؟ كثير من الناس يفعلون ذلك ، فهم على يقين من إصابتهم وخطأ غيرهم ، فلا يريدون أن يستمعوا إلى ما عند غيرهم من قول . بل قد يرفضون الاستماع أيضا ، فهم دواما لاعبون جفاة .

والجدل من الأعمال الطيبة كالمباريات الرياضية . ويشترك فيه غالبا جانبان ، وربما أكثر . فمن الخير ، إذا اشترك فيه أناس كثيرون ، أن يُختار أحدهم ليكون حكما ، وأن تنظم الأمور بحيث يجد كل فرد فرصة للكلام . وإلا فسيحتكر بعضهم الكلام ، أو يتكلمون جميعا فى وقت واحد .

وليس من اليسير الحكم بفوز أحد فى الجدل كما هو الحال فى معرفة الفائز فى مباراة كرة القدم أو التنس . ولكن من المؤكد أن الفائز ليس هو أكثر الرجال كلاما ، أو أعلاهم صوتا . أما الذى يفوز فهو الذى يستطيع أن يقنع أكبر عدد من الناس بأنه أو أنها على حقّ . ومن المحتمل ألا يكون فى ذلك انتهاء المجادلة . ويجب ألا يكون فعلا . إذ يجب على الفائز أن يتحلى من الروح الرياضى بالقدر الذى يسمح لخصومه بأن يستمرّوا فى الكلام ، ومحاولة إقناعه بأنه مخطئ .

ولقد انتهى الأمر فى أكثر من مرة بأن تبين أن الشخص الذى أكثر الناس من السخرية منه هو المصيب . فقليل من الناس صدقوا كولمبس حين ادعى أنه استطاع السفر بالبحر حول العالم .



ممنوع دخول الفتيات

LILL



تشجيع الهوايات

وتمسك معظم أصدقائه بأن الأرض مسطحة ، وتوقعوا أن يقع هو وسفينته من حافتها . واعتبر الناس السيارة الأولى شيئا مزعجا سخيفا . وحينما تكلم الرجال عن الطيران فى الهواء ظنهم الشعب مجانين .

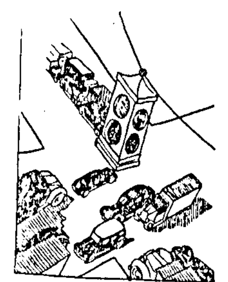
وإنها لفكرة طيبة أن تأخذ بعين الاعتبار جميع عناصر الرأى فى أىّ جدل ، فقد يصبح الرأى الذى يبدو لنا سخيفا اليوم ، جدّ معقول بعد حين .

ولكى نتيح الفرصة للأفكار الجديدة حتى تنمو وتتطوّر وتصبح كشوفا هامة أو طرقا لعمل الأشياء بأحسن مما نعرف ، يجب علينا أن نتحلى بالروح الرياضى ، فنستمع إليها سواء أوافقنا عليها فى البداية أم لم نوافق .

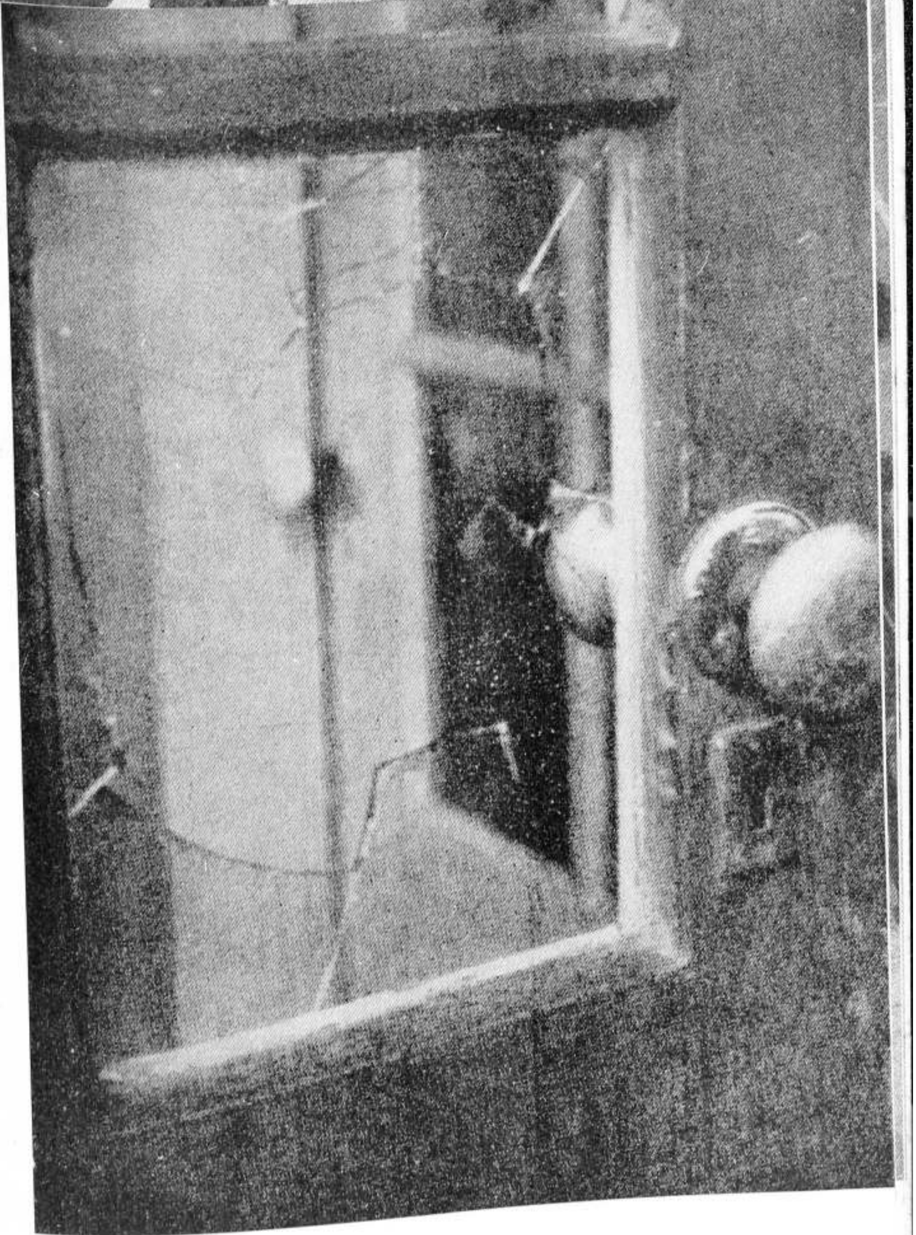
فالديمقراطية معناها السماحة – أى الرضا بأن نتيح لكل فريق أن يلعب ، ولكل جانب فى مجادلة الفرصة ليعبر عن نفسه . ويجب ألا تعتبر أية جماعة من الناس ، تستظل بظل الديمقراطية نفسها ، خيرا من أية جماعة أخرى .

النور الأخضر

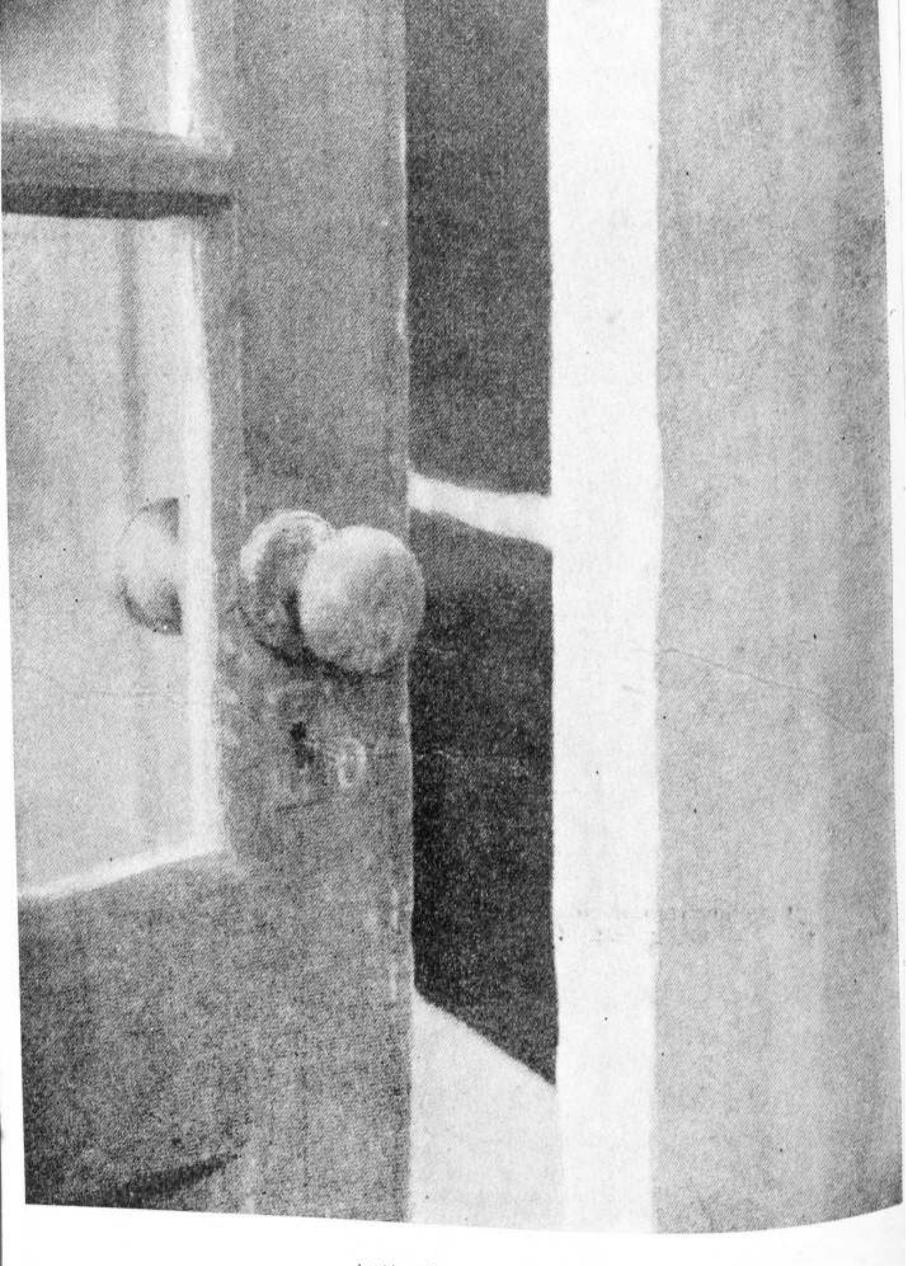
كل منا يحبّ اختصار الوقت ، سواء كنا نعمل فى بعض المسائل الحسابية ، أو نندفع لركوب الترام ، أو نهرول إلى البيت للغداء . ولا شك أن اختراق حديقة البيت أيسر كثيرا ، وأسرع من السير فى الطريق المحيط بها . ولكن من المحتمل أن يُكلفنا هذا الاختصار متاعب أكثر مما يستحق . فإن اختراق الحديقة سيقتل العشب ، وسيضطرّ الإنسان إلى بذل جهد كبير لإنباته ثانية .



وقد يأتى صباح تضطر فيه إلى العجلة ، لتأخرك عن القطور . فينعقد رباط حذائك ، فتجذبه بشدة بدلا من أن تضيع بعض الوقت فى حله ، فينقطع بطبيعة الحال ، وتقع فى ورطة .



طريقة واحدة للدخول



إذا لم تستطع انتظار المفتاح

(٤)

وإنك لفى حاجة إلى الصبر أيضا ، إذا أردت أن تعلم كلبك القيام ببعض الحيل . فإنك لاتستطيع أن تجعله يقف على رجليه ، أو يتظاهر بالموت بإلهابه بالسوط . وإنما عليك أن تريه كيف يقوم بها مرّة بعد أخرى حتى يدركها أخيرا ، ويأتى بها راضيا ، لأنه يتحرّى مسرّتك .

وعلى والدك أن يتحلى بشىء من الصبر أيضا ، حين يقود سيارته فى الشارع . إذ من المحتمل أن يُقْبَض عليه ، إن كان مستعجلا فأسرع فى قيادته أو تخطى النور الأحمر . فيضيع حينئذ وقتا طويلا فى الذهاب إلى مركز الشرطة أو المحكمة ، وربما اضطر إلى دفع غرامة .

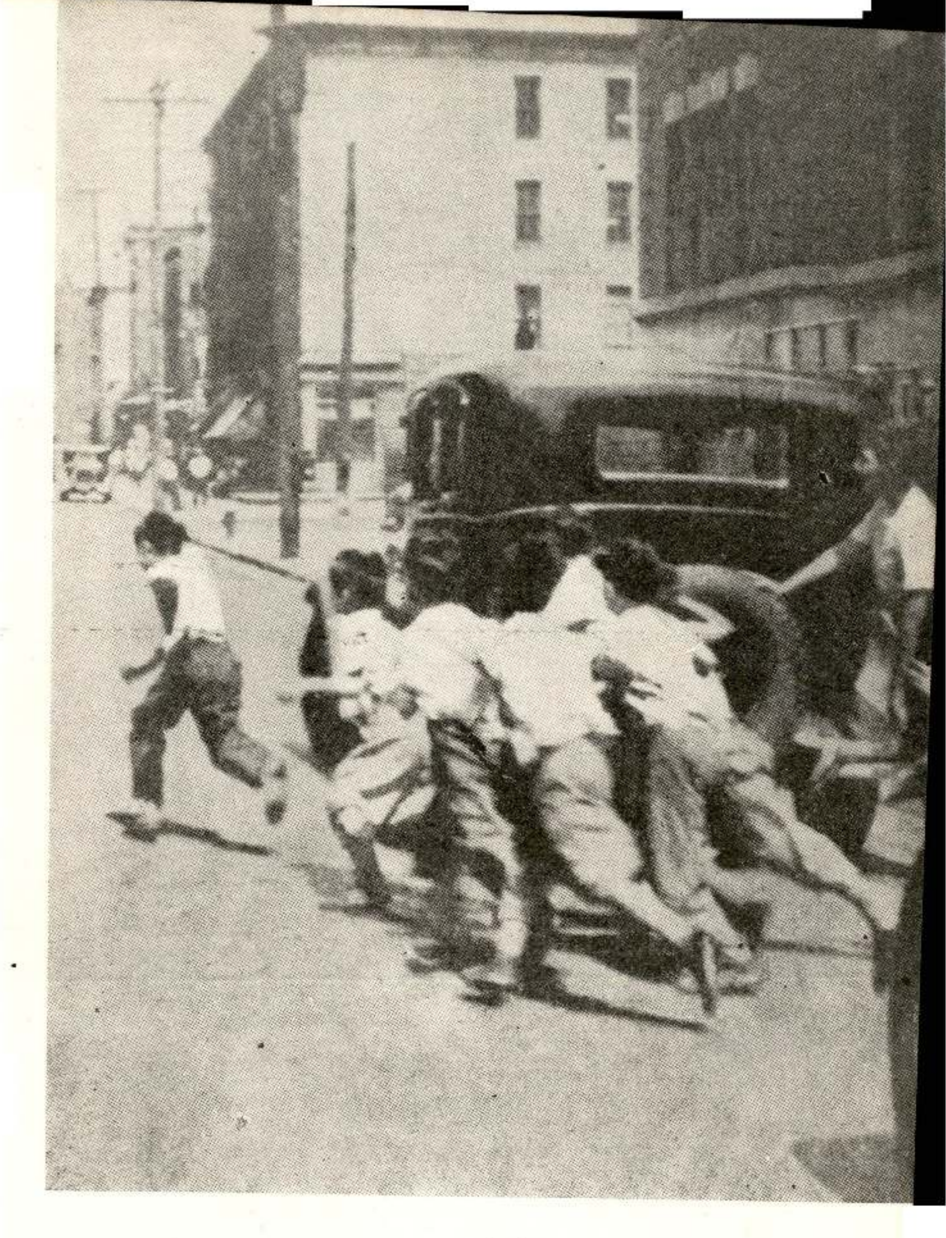
ولكن لماذا يضطرّ والدك إلى الإبطاء ؟ لماذا لا يُباح له أن يسير بسرعة ستين ميلا فى الساعة إن كان يريد ذلك ؟ ألا يعيش فى بلد حرّ ؟

إنه كذلك بالطبع . ولكن هَب كل إنسان صمم على السير بسرعة ستين ميلا فى الساعة ، ولم يأبه أحد منهم للأنوار الحمراء . ألا تكثر الحوادث ، وتضطرب حركة المرور أيضا .

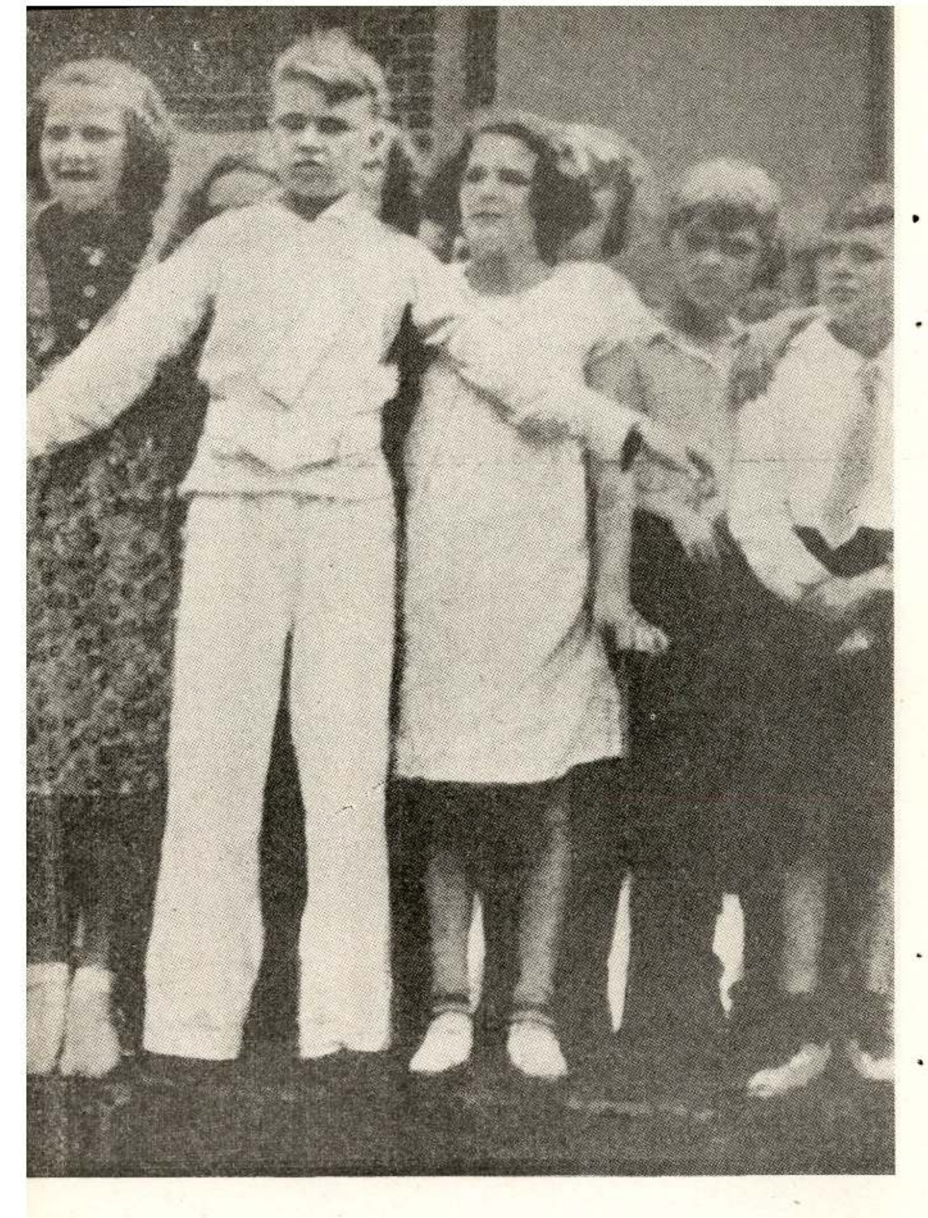
بحيث يتعذّر على كل إنسان أن يبلغ مقصده ؟ . . . فنُظُم المرور ليست ضرورية لمنع الناس من الإسراع كضرورتها فى تيسير المرور لكل منهم .

وكثيرا ما يجب على المرء أن يتنازل عن بعض حريته فى سبيل الآخرين . وقد يستطيع كل منا أن يفعل ما يحبّ ، لو كنا جميعا مثل روبنسن كروزو ، يعيش كل فى جزيرته الصحراوية الخاصة . ولكننا – على خلاف ذلك – أعضاء فى أُسر ، وتعيش أسرنا مع كثير من الأسر الأخرى فى مدن وبلاد . ومدننا فى ولايات ، هى أجزاء من قطر كبير ، ولذلك يجب أن نراعى رغبات غيرنا مراعاتنا لرغباتنا .

أما إذا سرت وحيدا فى الريف ، فإنك مستطيع أن تسرع ما أحببت ، وأن تختار وجهتك . ولكنك ستشعر بالوحدة . فإذا ماسرت مع أسرتك ، كان عليك أن تدعهم يشاركونك فى الرأى : أين تذهبون ، وكيف ؟ وإذا مالحقت بجمهور خارج من إحدى دور السينما ، أو ذاهب إلى مباراة لكرة القدم ، كان عليك أن تسير معه ، مهما نفد صبرك .



خطر داهم



الجميع ينتظرون

ولنفرض أن فئة قليلة منا أرادت أن تغير الاتجاه الذى يسير فيه الجمهور ، فماذا علينا أن نفعل ؟ أنلقى عليهم الأحجار ، أو نضربهم بالعصىّ ، لنجبرهم على المسير فى الاتجاه الذى نريده لهم؟ إنها إحدى الطرق ، ولكنها طريقة خطرة ، فالمرجح أن يستديروا وأن يقابلونا بمثل ما بدأناهم به . . . ولكن ألا يجمل بنا أن نقترح عليهم التغيير ، ونغريهم بقبوله ؟

ومن اليسير على الرجال والنساء أن يفقدوا صبرهم حين يظنون أن الأنوار الحمراء تستغرق وقتا طويلا . ولكنّ هؤلاء المتعجلين لن يصلحوا الأمور بالاندفاع قبل أن تتغير الألوان . فمن المرجح أن يتبعهم غيرهم ، فتقع حادثة ويضطرب المرور . والأجمل بهم أن ينتظروا النور ، ثم يقترحوا على إدارة المرور وجوب تغيير إشارة المرور . فإذا ما نال هذا التغيير استحسان كثيرين ، فإنه سيتمّ لامحالة .

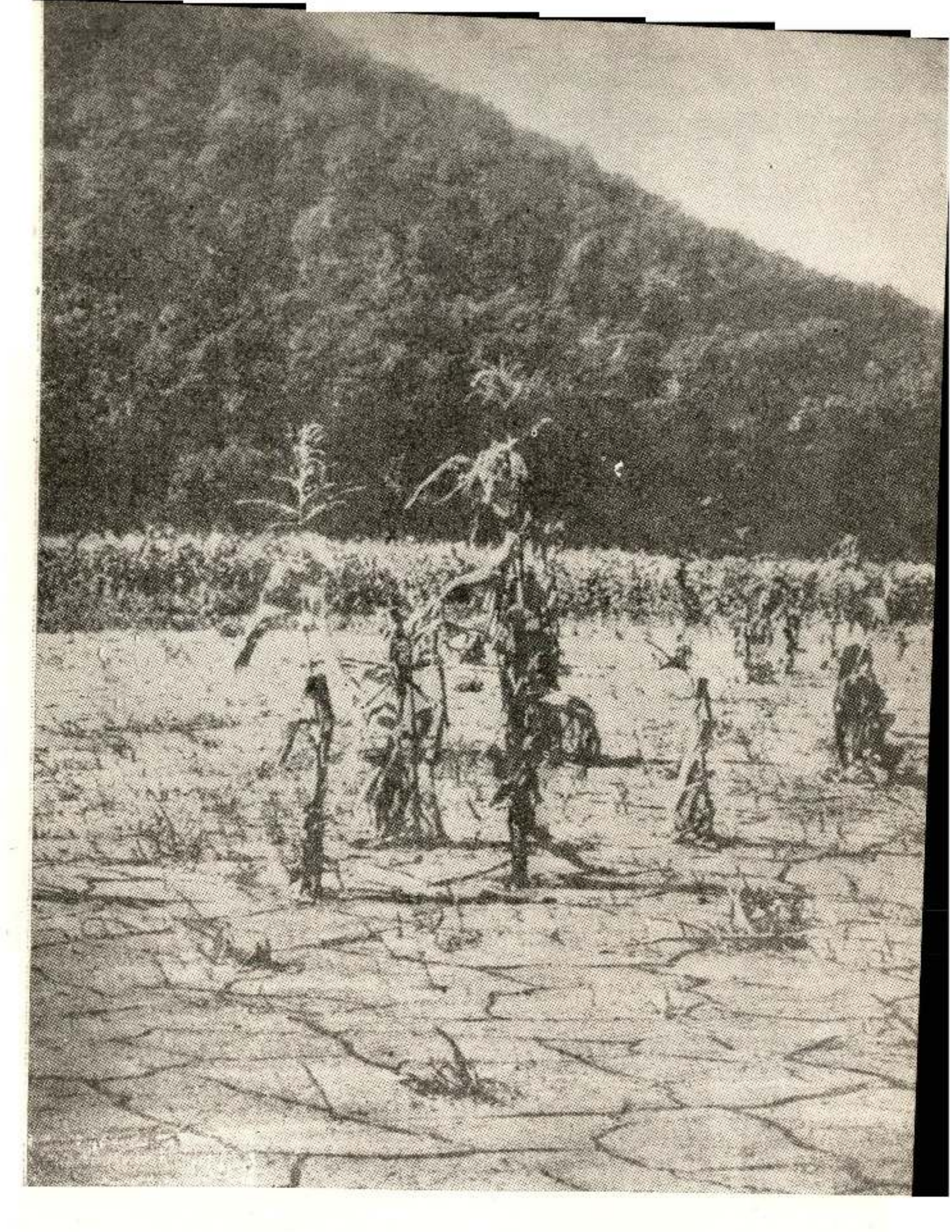
فالديمقراطية معناها الصبر . . . معناها التصميم على العثور على طريق سلمية للاضطلاع بالأعمال . ويجب على كل منا أن يرضى بإطاعة القوانين ، حتى نستطيع العثور على طريقة ما لتغييرها . ويجب على المواطنين فى ظل الديمقراطية أن يؤمنوا بإمكان العثور على الطرق السلمية على الدوام ، إذا رضى كل إنسان أن ينفق بعض الوقت حتى يجدها .

مقاعد لكل فرد

الفرقة تعزف ، والرايات تخفق ، « والسيرك » على وشك الابتداء في الخيمة الكبيرة . وفى خارج المدخل الرئيسى ، يصيح بالمارة رجل يرتدى حلة حمراء ، وحذاء طويلا لامعا ، وقبعة حريرية عالية ، قائلا : « هلموا . . . هلموا جميعا ، تمتعوا بأعظم عرض فى العالم ! فى كل دقيقة جديد مثير ! كثير من المقاعد فى الداخل . هيا تقدم وخذ تذكرتك » .



وإننا جميعا نحبّ الذهاب إلى مشاهدة « السيرك » فمن الممتع أن تجلس فى الخيمة ، وتراقب الفيلة والبهلوانات « المَسَاخر » والفُرسان على الخيل العارية ، ومروّضى الأسود ، واللاعبين الأكروباتيين ، الذين يطيرون فى الهواء بكل سهولة .



لافرصة لها للنماء



النمو الكامل

وقد أتيحت الفرصة لكل صبي تعرفه ليذهب ذات مرة إلى « السيرك » إما مع أبيه وأمه ، وإما لأنه حمل الماء إلى الفيلة ، فحصل على تذكرة مجانية .

ونحن لانحب أن يقوم « السيرك » بعرض صغير لايحضره إلا فئة صغيرة من الذين يملكون نوعا خاصا من التذاكر أو الدعوات. فعند ما يأتى « السيرك » إلى بلدتنا ، يسرّنا أن يقام العرض فى الخيمة الكبيرة ، حيث يتسع المكان للجميع .

ولكن السيرك ليس إلا مكانا واحدا من الأماكن التى نحب أن يجد كل إنسان فرصا متكافئة لارتيادها . فإذا ما أعدت الأمور لإجراء سباق ، أردنا أن يكون المؤذن ببدئه عادلا ، فيأمر جميع المتبارين بالوقوف على خط واحد ، وأن يتحقق من أنهم جميعا انتظروا الإشارة ولم يتقدمها أحدهم .

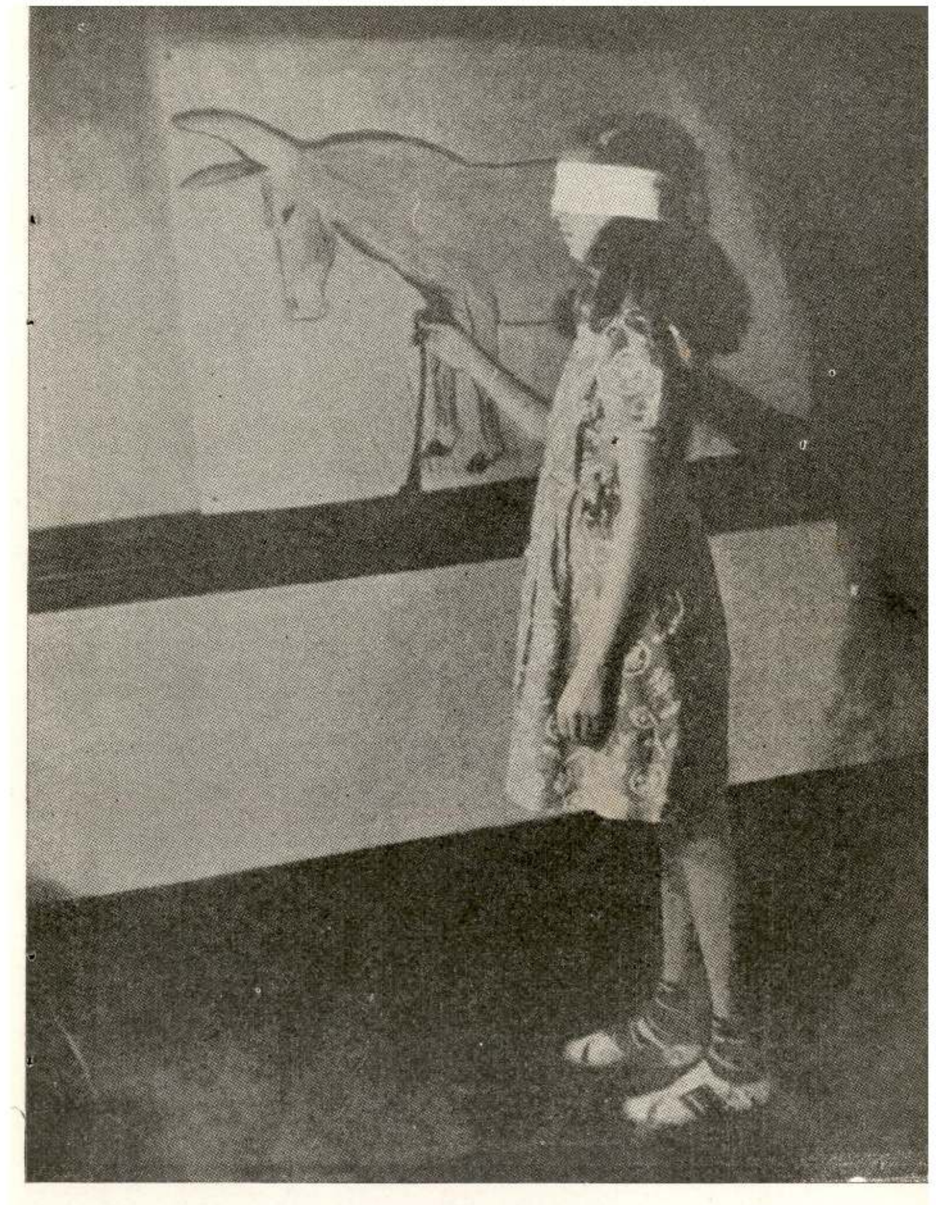
حقا سيعدو بعضهم أسرع من غيرهم ، ولكنهم سوف يبدءون متساوين على الأقل .

ولا يعرف إنسان من الفائز . وقد يراودنا بعض الأفكار عنه ، ولكننا لانستطيع الجزم به أبدا . فقد يدهشنا بعض من لانتوقع فوزه ببلوغ الهدف أولا .

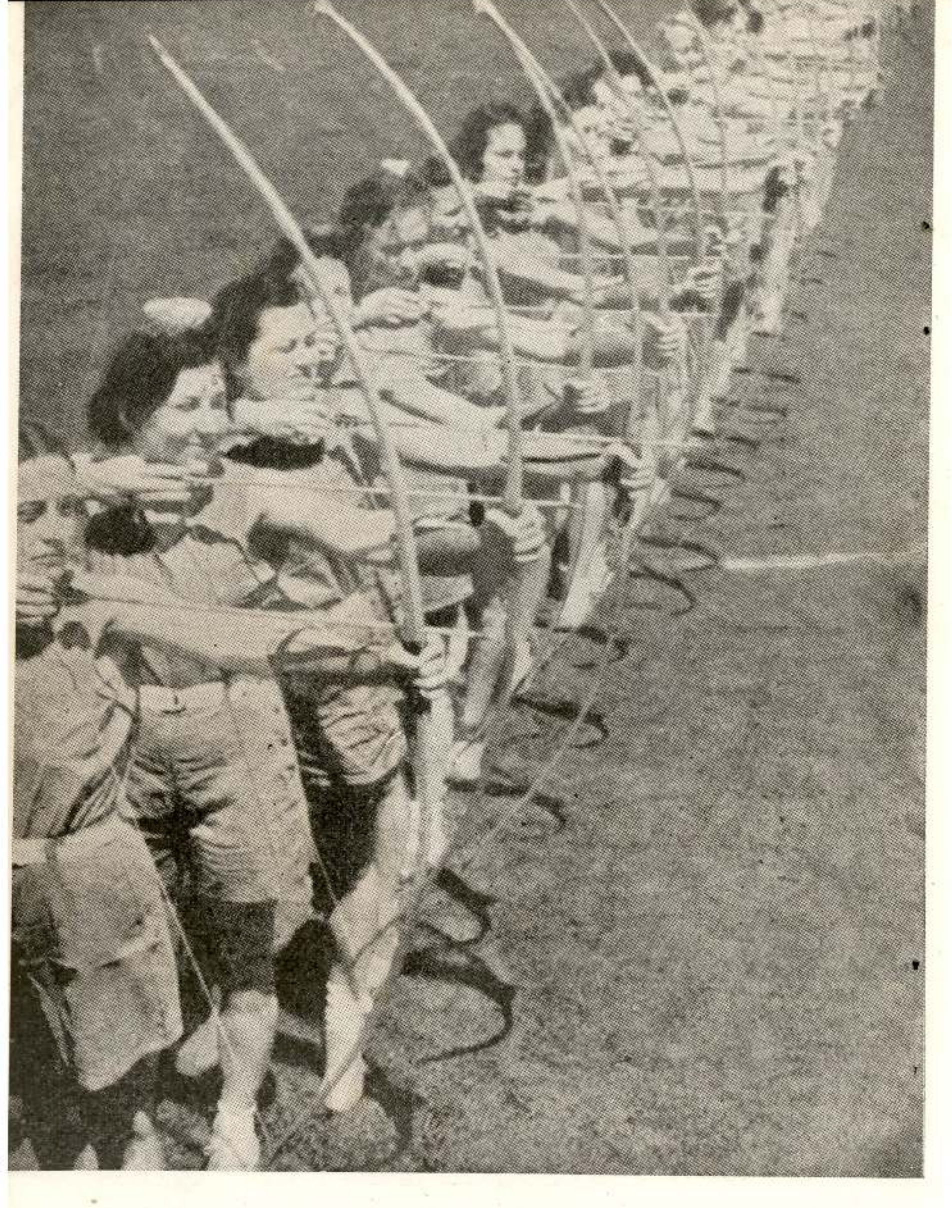
وليس من العدل المحاباة فى معاملة الصبيان والبنات الذين فى مستهل حياتهم . فكل منهم جدير بأن يمنح فرصة الذهاب إلى المدرسة ، واختيار مايريد أن يقوم بعمله ليكسب عيشه . فلا أحد يعرف بادئ ذى بدء من سينجح ومن سيخفق ، ومن له موهبة خاصة لهذا النوع من العمل دون ذاك . فبعضهم سيصبحون أطباء ومحامين وطيارين ومهندسين . وغيرهم سيجدون متعتهم فى الصناعة أو التدريس أو الفلاحة . وسيريد فريق ثالث أن يتعلم كيف يدير الآلات أو يبنى المنازل أو يشيد ناطحات السحاب بعضها إلى جوار بعض . ومن المرجح أن يوجد آخرون ذوومواهب فنية أو موسيقية أو روائية .

فقد يُزْرَع النوع الواحد من البذور فى حقلين مختلفين . فإن لم يجد كلاهما نفس العناية ، والقدر الملائم من أشعة الشمس والمطر ، لم تتكافأ فرص الحياة لهما . فيذوِى أحدهما ويموت ، على حين ينمو الآخر ، ويزداد جمالا ورونقا .

وحينما تتاح الفرص للناس ، فمن المرجح أن تدور فى رءوسهم جميعا الأفكار والابتكارات الهامة عن العربات والطائرات



لابد من أن تخطىء



فرصة طيبة لإصابة الهدف

والقُطُر ، والأدوات النافعة الجديدة ، مثل أقلام الحبر والمشابك ، وعن طرق جديدة لمعالجة المرض وتحسين الصحة ... وعن الكتب والصور والمنازل . . . وعن الجديد من المباريات والأغاني . . . وعن العالم الذى نعيش فيه ، وعن النجوم التى نراها ليلا ، وعن الله .

وتحتاج البلاد الموصوفة بالديمقراطية إلى كثير من المدارس والمكتبات والمعامل العلمية والمسارح والمعارض الفنية وأبهاء الموسيقى . ويجب أن يتسع ذلك لكل فرد ، إذ أن الديمقراطية معناها إتاحة الفرصة .

وإذن فالديمقراطية تعنى كثيرا من الأشياء .

ويجب أن يعرف الناس فى ظل الديمقراطية كيف يتمتعون بحريتهم فى الحياة كما يحبون .

ويجب أن يعرفوا كيف يتخذون قرارات هامة فى مشاكلهم الهامة .

وكيف يشتركون مع غيرهم فى وضع القوانين لخير الجميع .

وحينما يختلفون فى إحدى المشكلات ، يجب أن يستمعوا إلى

جميع وجهات النظر ثم يختاروا ما يستصوبون .

ويجب أن يسمحوا لغيرهم بأن يكون له رأيه الخاص سواء اتفقوا معه أو لم يتفقوا .

وحتى عندما يشغفون أن يحدث أمر من الأمور ، فيجب أن يرضوا بالانتظار حتى يمكنهم إغراء عدد كاف من الناس به ، فيتيسر إجراؤه سلميا لا قسرا .

فالديمقراطية ليست أمرا هينا – على الأفراد ، أو الجماعات ، أو الأمة .

وإنما تحتاج إلى دربة وكثير من المرانة .

ومن المرجح أن تقع أخطاء ، وأن تُسْلَك الطرق الخاطئة ، ولذلك يجب أن تختبر الخطط مرة وأخرى ، قبل أن تؤدى إلى النجاح ، إذ من المستطاع إصلاح الأخطاء .

ولا يتم ذلك الأمر إلا إذا رضينا جميعا بقبول نصيبنا من المسئولية ، وبأن يضمن كل إنسان الحرية ، والسماحة ، والفرص المتكافئة .

محتويات الكتاب